رفاد
REFAAD

المجلة الدولية للدراسات اللغوية والأدبية العربية

International Journal for Arabic Linguistics and Literature Studies

ISSN 2663-5860 (Online)
ISSN 2663-5852 (Print)

المجلة الدولية للدراسات اللغوية والأدبية العربية

المجلد السادس- العدد الثاني، حزيران 2024

رئيس التحرير

الأستاذ الدكتور مصطفى طاهر الحيادرة

جامعة اليرموك- الأردن

مساعدة التحرير

م. سوزان السلايمه

الهيئة الاستشارية

الأستاذ الدكتور علي الشرع	جامعة اليرموك- الأردن
الأستاذ الدكتور محمد غاليم	جامعة محمد الخامس- المغرب
الأستاذ الدكتور موسى ربابعة	جامعة اليرموك- الأردن
الأستاذ الدكتور منذر يونس	جامعة كورنيل- الولايات المتحدة الأمريكية
الأستاذ الدكتور محمد الشنطي	الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة- السعودية
الدكتور سامي عبابنة	الجامعة الأردنية- الأردن

هيئة التحرير

الأستاذ الدكتور محمود عبيدات	جامعة العلوم الإسلامية العالمية- الأردن
الأستاذ الدكتورة عشتار داود	جامعة الموصل- العراق
الدكتور يوسف حمدان	الجامعة الأردنية- الأردن
الدكتور محمد المصري	جامعة أكلوهوما- الولايات المتحدة الأمريكية
الدكتور إحسان صادق اللواتي	جامعة السلطان قابوس- عُمان
الدكتور سميح مقدادي	جامعة البتراء- الأردن
الدكتورة فتيحة شفيري	جامعة امحمّد بوقرة بومرداس - الجزائر

التعريف بالمجلة

المجلة الدولية للدراسات اللغوية والأدبية العربية هي مجلة علمية دولية مفهرسة ومحكمة، تصدر في أربعة أعداد سنوياً عن مركز رفاد للدراسات والأبحاث. تركز المجلة على أن تكون ميداناً لنشر البحوث الأصيلة المبتكرة في موضوعات اللغة العربية وعلومها المختلفة، لتسهم في تعميق المعرفة المتخصصة في شؤون اللغة العربية، وما يرتبط بها من مجالات التفكير الناقد الفاحص للمستويات اللغوية المتعددة والظواهر الأدبية والنقدية في التراث العربي، وما استجد من دراسات لهذه الظواهر في العصر الحديث، وفق آليات البحث العلمي الجاد.

أهداف المجلة:

تسعى المجلة الدولية للدراسات اللغوية والأدبية العربية لتمكين الباحثين والمفكرين من وضع بحوثهم وثمار عقولهم بين أيدي الدارسين والمتخصصين؛ بهدف تعميق المعرفة، وإتاحة الفرصة أمامهم للتحاور على منصات البحث في كل ما يستجد من قضايا لغوية ونقدية أو أدبية، والوقوف على نتاجاتهم العلمية في اللغويات النظرية والتطبيقية، والآداب والنقد والبلاغة، ونشر البحوث الأصيلة التي تلتزم بشروط البحث العلمي من حيث: أصالة الفكر، ووضوح المنهجية، ودقة التوثيق، والجودة العالية، وجدّية الطرح.

عنوان المراسلة:

المجلة الدولية للدراسات اللغوية والأدبية العربية

International Journal for Arabic Linguistics and Literature Studies (JALLS)

رفاد للدراسات والأبحاث- الأردن

Refaad for Studies and Research

Bulding Ali altal-Floor 1, Abdalqader al Tal Street –21166 Irbid – Jordan
Tel: +962-27279055

Email: editorjalls@refaad.com , info@refaad.com
Website: https://www.refaad.com/Journal/Index/6

جميع الآراء التي تتضمنها هذه المجلة تعبّر عن وجهة نظر كاتبها ولا تعبر عن رأي المجلة وبالتالي فهي ليست مسؤولة عنها

قواعد النشر

أولاً: تسليم الورقة البحثية:

- يتم إرسال الورقة البحثية ومرفقاتها إلى المجلة عن طريق نظام التسليم الإلكتروني بالمجلة. أو عن طريق البريد الإلكتروني الخاص بالمجلة (editorjalls@refaad.com)
- يتم إعلام المؤلف باستلام الورقة البحثية.

ثانياً: المراجعة:

1. الفحص الأولي:

- تقوم هيئة التحرير بفحص الورقة البحثية للنظر فيما إذا كانت مطابقة لقواعد النشر الشكلية ومؤهلة للتحكيم.
- تُعتمد في الفحص الأولي شروط مثل: ملاءمة الموضوع للمجلة، ونوع الورقة (ورقة بحثية أم غير بحثية)، وسلامة اللغة، ودقة التوثيق والإسناد بناء على نظام التوثيق المعتمد في المجلة، وعدم خرق أخلاقيات النشر العلمى.
- يتم إبلاغ المؤلف باستلام الورقة البحثية وبنتيجة الفحص الأولي.
- يمكن للمجلة أن تقوم بما يُعرف بمرحلة "استكمال وتحسين البحث"، وذلك إذا ما وجد. أن الورقة البحثية واعدة ولكنها بحاجة إلى تحسينات ما قبل التحكيم، وفي هذه المرحلة تقدم للمؤلف إرشادات أو توصيات ترشده إلى سبل تحسين ورقته بما يساعد على تأهيل الورقة البحثية لمرحلة التحكيم.

2. التحكيم:

- تخضع كل ورقة بحثية للمراجعة العمياء المزدوجة (إخفاء أسماء الباحثين والمحكميين).
- يُبلغ المؤلف بتقرير من هيئة التحرير يبين قرارها.
- دفع رسوم التحكيم والنشر كما هو موضح في موقع المجلة.
- تُرسل خلاصة ملاحظات هيئة التحرير والتعديلات المطلوبة إن وجدت، ويُرفق معه تقارير المراجعين أو خلاصات عنها.

3. إجراء التعديلات:

- يقوم المؤلف بإجراء التعديلات اللازمة على الورقة البحثية استناداً إلى نتائج التحكيم ويعيد إرسالها إلى المجلة، مع إظهار التعديلات، كما يُرفق في ملف مستقل مع الورقة البحثية المعدلة أجوبته عن جميع النقاط التي وردت في رسالة هيئة التحرير والتقارير التي وضعها المراجعون.

4. القبول والرفض:

- تحتفظ المجلة بحق القبول والرفض استناداً إلى التزام المؤلف بقواعد النشر وبتوجيهات هيئة تحرير المجلة والتعديلات المطلوبة من قبل المحكمين.
- إذا أفاد المحكم بأن الباحث لم يقم بالتعديلات المطلوبة، يُعطى الباحث فرصة أخيرة للقيام بها، وإلا يرفض بحثه ولا ينشر في المجلة ولا يتم استرجاع رسوم النشر.

ثالثاً: القواعد الشكلية:

1. **ملاءمة الموضوع:** أن يقع موضوع الورقة البحثية ضمن نطاق اهتمام المجلة.
2. **عنوان الورقة البحثية:** يكون باللغتين العربية والإنجليزية، كما يجب أن يتعلق العنوان بهدف الورقة البحثية. مع تجنب الاختصارات والصيغ قدر الإمكان.
3. **الباحثين:** كتابة الأسم الكامل ومكان العمل وعنوان البريد الإلكتروني للمؤلف الرئيس ولجميع المؤلفين الموجودين في الورقة البحثية باللغتين العربية والإنجليزية.
4. **الملخص:** يجب أن تتضمن جميع الأبحاث على ملخصات باللغتين العربية والإنجليزية تكون معلوماتها متطابقة، عدد الكلمات في كل ملخص (150-250) كلمة. ويجب أن تحتوي على العناصر الآتية على شكل فقرات كل على حدة: الأهداف، والمنهجية، وخلاصة الدراسة، كما يجب إضافة 3-5 من الكلمات المفتاحية باللغتين العربية والإنجليزية.
5. **المقدمة:** يتضمن هذا القسم خلفية الدراسة وأهدافها وملخصًا للأدبيات الموجودة والدوافع ولماذا كانت هذه الدراسة ضرورية.
6. **الجداول والرسوم البيانية:** تُعرض الجداول والرسوم البيانية بطريقة واضحه ومناسبة كما هو موضح بقالب المجلة.
7. **النتائج:** يتضمن هذا القسم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.
8. **المصادر والمراجع:** يلتزم المؤلف بقواعد التوثيق المقررة في المجلة لأصول الإسناد والعرض الببليوغرافي **حسب نظام APA.**
9. **الحجم:** يلتزم المؤلف بعدد الصفحات بحيث لا تزيد االورقة البحثية عن **30 صفحة** بما فيها الملخص وصفحة العنوان وقائمة المراجع.

فهرس المحتويات

#	اسم البحث	رقم الصفحة
1	صورة القدس في شعر أحمد مطر	50
2	مقاربة سيميائية بين عائد إلى حيفا لغسان كنفاني والطنطورية لرضوى عاشور	64
3	Is Islam a Religion of Peace, or Violence and Terror? A Socio-Cultural Study	82
4	Importance and Role of Artificial Intelligence for Arabic Translators	92

افتتاحية العدد

بسم الله الرّحمن الرّحيم

والصّلاةُ والسّلام على خير الأنام سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين، أمّا بعد

فتواصل **المجلة الدولية للدراسات اللغوية والأدبية العربية** مشوارها بثبات وجديّة في خدمة اللّغة العربيّة وآدابها بصدور **العدد الثاني من المجلد السادس**، وما زالت تأخذ على عاتقها ألاّ تحيد عن مسعاها في تقديم البحوث الجادة والرّصينة، ذلك أنّها تهتم اهتماماً نوعيًّا بنشر البحوث بعد إخضاعها لبرنامج التكشيف iThenticate ، مما يشكل ضمانة للباحثين مؤلفين وقرّاء.

وتنتهج المجلة في سياستها العامة، وشروط التحكيم فيها، نهجًا يرتكز على أسس حديثة مما أصبح مطلبًا في مجلات النشر العالمية بعد تقويم هذه السياسات من عددٍ من الخبراء والأساتذة الفضلاء، ساعية بذلك إلى تحقيق مكانة مرموقة عالميًا، وهي بذلك تتطلع إلى الباحثين من أهل الطموح والراغبين في إنجاز بحوثٍ تأخذ مكانها في مجالات متخصصة بدراسة اللّغة العربية والأدب العربي، للإسهام في الأعداد القادمة من المجلة.

وما زالت المجلة ملتزمة بتقديم أبحاث مميزة نوعيًا دون تأخير أو إطالة في المراحل التي يخضع لها البحث من التقويم الأولي، فالتحكيم، فالتحرير، فالمراجعة.

ولا بدّ في مختتم القول من الإقرار بالشكر والتقدير العظيمين لكل من أسهم في إنجاح هذا العدد من الأساتذة المشرفين على المجلة، ومن الأساتذة المحكمين، والأساتذة الباحثين، وسكرتيرة التحرير.

والله من وراء من الْقصد

رئيس هيئة التّحرير

[الأبحاث]

المجلة الدولية للدراسات اللغوية والأدبية العربية

المجلد السادس، العدد الثاني، 63:50
حزيران (2024)

بحث رقم 1

صورة القدس في شعر أحمد مطر

The Image of Jerusalem in Ahmed Matar's Poetry

ناهدة أحمد الكسواني

Naheda Ahmad Alkiswani

أستاذ مشارك-كلية الآداب- جامعة القدس المفتوحة- فلسطين

Associate Professor, Al-Quds Open University, Palestine

nkiswani@qou.edu

Received استلام البحث	Revised مراجعة البحث	Accepted قبول البحث
2024/5/22	2024/7/1	2024/7/7

DOI: https://doi.org/10.31559/JALLS2024.6.2.1

This file is licensed under a *Creative Commons Attribution 4.0 International*

رفاد REFAAD
www.refaad.com

International Journal for Arabic Linguistics and Literature Studies (JALLS)
المجلة الدولية للدراسات اللغوية والأدبية العربية
Journal Homepage: https://www.refaad.com/Journal/Index/6
E-ISSN 2663-5860 | P-ISSN 2663-5852

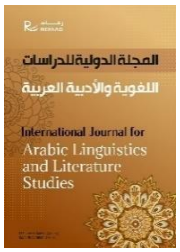

صورة القدس في شعر أحمد مطر

The Image of Jerusalem in Ahmed Matar's Poetry

الملخص:

الأهداف: تهدف هذه الدراسة إلى دراسة صورة القدس في شعر الشاعر أحمد مطر، وتبين رؤية الشاعر ومواقفه المتعددة من فلسطين بعامة ومن مدينة القدس بخاصة تحت الاحتلال الإسرائيلي، مع الكشف عن الأبعاد التي صورها أحمد مطر مثل البعد السياسي والديني والتاريخي ... والتي تعد أولى ركائز إثبات هويتها، من خلال الاتجاه المقاوم، والاتجاه الرمزي، والاتجاه الاجتماعي.

المنهجية: اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي.

خلاصة الدرسة: خلصت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها: أن القدس بالنسبة لأحمد مطر هي البوصلة التي على الجميع التوجه إليها، فبرز في شعره مدافعًا عنها، لا نجده متباكيًا، بل إنه على عكس ذلك يثير الحماسة. وفي حديثه عن القدس لم يستجد الرثاء أو يستنزف الدموع بل مضى مندفعًا ثائرًا. وما يلاحظ على شعره عن القدس بروز الحزن والقهر؛ بسبب من يحكم القدس ويتحكم بفلسطين. وكان حديثه قاسيًا عند حديثه عن القيادات العربية والفلسطينية التي ضيعت فلسطين والقدس ولم تهتم بما يحدث للشعب الفلسطيني، وتركتهم يواجهون قسوة الاحتلال وغطرسته بأنفسهم دون معين أو نصير.

الكلمات المفتاحية: *أحمد مطر؛ القدس؛ الهوية؛ السخرية؛ الأنظمة العربية.*

Abstract:

Objectives: This research aims to study the image of Jerusalem in the poetry of the poet Ahmed Matar, and to show the poet's vision and his multiple positions on Palestine in general and on the city of Jerusalem in particular under the Israeli occupation while revealing the dimensions depicted by Ahmed Matar, such as the political, religious and historical dimension... which are the first pillars of proving its identity through the resistance trend, the symbolic trend, and the social trend.

Methods: This study relied on the descriptive-analytical method.

Conclusions: The study was concluded with a number of results, the most important of which is: Jerusalem, for Ahmed Matar, is the compass to which everyone should point. He appeared in his poetry defending it. We do not find him lamenting, but on the contrary, he arouses enthusiasm. In his talk about Jerusalem, he did not find pity or shed tears, but rather He went on a rampage. What is noticeable in his poetry about Jerusalem is the emergence of sadness and oppression because of who rules Jerusalem and controls Palestine. His speech was harsh when he spoke about the Arab and Palestinian leaders who lost Palestine and Jerusalem and did not care about what happened to the Palestinian people, leaving them to face the cruelty and arrogance of the occupation on their own without a helper or supporter.

Keywords: *Ahmed Matar; Jerusalem; identity; sarcasm; Arab regimes.*

المقدمة:

تُعَدّ فلسطين مَهْد المسيحية، والقِبلة الأُولى في الإسلام، ومُلتقى الحَضارات العالمية، وهَمزة الوَصل في حركة المَواصلات العالمية. وتحظى مدينة القدس بمكانة عالية، لما تتمتع به من أهمية دينية وتاريخية وحضارية. وقد بنيت سنة 3000 ق.م، على يَد اليبوسيين، حيث أسموها "يَبُوس"، عِلمًا أن اليبوسيين هم من الكنعانيين العرب.

وتَعرضت "يبوس" لغزو العِبريين عِدة مرّات، إلا أن مَلك يَبوس آنذاك "سالم اليبوسي"، زاد بُنيان المدينة وتَحصينها، وتَلاه الملك "صَادق" والذي سُمي "ملك السّلام" ومن هُنا عُرفت القدس باسمها الحالي "أورو سالم" والتي حُوِلت إلى "أورشليم". وتَوالت على القدس مَوجات مُتلاحقة من الغزو الصليبي. وزادت أطماع اليهود بالسيطرة على فلسطين، إلى أن تحققت أطماعهم بمُساعدة من بريطانيا التي وَعدتهم من خلال وزير خارجيتها بِلْفور بإنشاء وَطن قومي يهودي في فلسطين، وفَرَضت بريطانيا انتدابها على فلسطين، وسَهلت بذلك إستيلاء اليهود على القِسم الغَربي من القدس في عام 1948م، وفي عام 1967م إستولوا على القِسم الشَرقي (الدباغ، 1975، العارف، 1951).

فالقدس للفلسطينيين رَمْز الهويّة الفلسطينية عَبْر التاريخ البَعيد والقَريب، وفي الوقت الحاضر أيضًا. ومن هنا يأتي تَمَسُّكهم بها كعاصمة لدولتهم المستقلة، فقَضية القدس تُشكل مَفْصلًا أساسيًا في تحديد مُستقبل المنطقة المُحيطة وواقعها. وتَنْبع الأهمية الخاصة التي دَفعتني لاختيار مَوضوع صورة القدس في الشعر الفلسطيني المعاصر، من المُحاولات الجارية حَاليًا لِتحديد مستقبلها، والتي تُجَسِد أطماع الصهيونية فيها منذ أمد بعيد.

فقد عَمدت الحركة الصهيونية، منذ بِدء هِجرتها إلى فلسطين على فَرض وقائع من شأنها حَسْم موضوع القدس لصالحها، ودأبت على تَزوير تاريخ المدينة وحاضرها، مما جعل الحقيقة تكاد تَتَوارى عن أنظار العالم الخارجي. فالقدس مُستهدفة منذ القِدم وما زالت، لذا أرى أنه يَجدر بنا عربًا وفلسطينيين التركيز على دِراسة مدينة القدس، تاريخًا وحضارةً وأدبًا، حتى نُبْرِز حَقنا فيها، ونُبرز تَزوير اليهود للحقائق. وتنبع الأهمية الخاصة لِدراسة مَوضوع القدس في الشعر الفلسطيني، من المُحاولات الجارية حَاليًا لِتحديد مستقبل المنطقة بشكل عام ومستقبل القدس بشكل خاص. فمَدينة القدس هي مِفتاح السلام والحرب في الشرق الأوسط، ولها مكانة خاصة في نُفوس العرب والفلسطينيين.

ودراسة الشعر الذي قيل حولها، ما هو إلا محاولة لإبراز دَور الشعر الفلسطيني في فضح ممارسات الاحتلال، هذا الشعر في نظر البعض يعد سِلاحًا من أعظم الأسلحة التي استخدمها الفلسطينيون ضد الانتداب والصهيونية وما زالوا يخوضونها حتى الآن.

أحمد مطر الشاعر الساخر

لماذا أحمد مطر؟ هل نحن الذين نختار أحمد مطر أم هو الذي يأتي إلينا اليوم من خارج الشعر حينًا ومن داخله حينًا آخر؛ ليفجر ما يريد قوله بأشكال مختلفة. وما يعطي لأحمد مطر نكهته الخاصة ارتباطه بهموم الوطن في مواجهة الحاكم ومناداته بالحرية ورفض القهر، وإيقاع قصائده المزمجر ورفض الاستبداد والظلم والعسف. (طويل، 1992، 51)

ويتجسد هذا في قصيدة (دمعة على جثمان الحرية) يقول:

أنا لا أكتُبُ الأشعارَ
فالأشعارُ تكْتُبني
أُريدُ الصَّمتَ كي أحيا
ولكنَّ الذي ألقاهُ يُنطِقُني
ولا ألقى سِوى حُزْنٍ
على حُزْنٍ
على حُزْنٍ.
أأكتُبُ "أنّني حيٌّ" على كَفَني؟
أأكتُبُ "أنَّني حُرٌّ"
وحتّى الحَرفُ يرسِفُ بالعُبوديّهْ؟
لقَدْ شيَّعتُ فاتنةً
تُسمّى في بِلادِ العُربِ تخريباً
وإرهابًا

وطَعْناً في القوانينِ الإلهيّهْ
ولكنَّ اسمَها
واللهِ
لكنَّ اسمَها في الأصْلِ
.. حُريّهْ ! (مطر، 2011، 39).

فأحمد مطر له انتماء واضح لا يحيد عنه، حيث إنه ينتمي إلى الأمة لا لحزب أو قبيلة أو سلطة معينة، فالشاعر في تصوره ليس ناطقًا بلسان حال القبيلة، بل ناطق بلسان حال أمته كلها، والإنسانية بأسرها، سحابة تروي العطشى من كل لون وجنس ومذهب (حسن، 1987، 54) يقول:

إنني لست لحزب أو جماعة
إنني لست لتيار شعارا
أو لدكان بضاعة
إنني الموجة تعلو حرة ما بين بين
وتقضي نحبها دوما
لكي تروي رمال الضفتين
و أنا الغيمة للأرض جميعا (مطر، 133).

وتحمل لافتاته كل معاني الثورة ضد الفساد والظلم، ويصور من خلالها ظلم الحكام وجبروتهم تجاه الفئة المسحوقة من شعوبهم؛ لذا يسعى لتحريضهم ضد السلطة الحاكمة، مطالبًا الشعوب بعدم الاستسلام.

ويعد أحمد مطر من أبرز شعراء المقاومة في الأدب العربي الحديث فقد دافع عن بلده بشعره ووقف في وجه الحكام غير مكترث بما واجهه من نفي وغربة في سبيل حرية المواطن العربي. ولجأ في شعره إلى السخرية التي ميزته عن سائر الشعراء، لأن سخريته كلها هموم وحزن وألم، دفعته إلى رفع صوته عاليًا في وجه الحكام دون خوف وتمرد على أنظمتهم القمعية وكانت مشحونة بقوّة عالية من التّحريض مما عرضه للنفي أكثر من مرة، فقد نفته في المرة الأولى السلطات الحاكمة في وطنه العراق، فلجأ إلى الكويت، لكنه لم يسكت بل استمر في فضح الأنظمة العربية وتبني قضايا أمته وعصره مما عرضه للنفي مرة ثانية فطرد من الكويت ليلجأ هو وصديقه رسام الكاريكاتير الفلسطيني ناجي العلي إلى بريطانيا.

تعد السخرية طريقة تعبيرية منظورة، توصل بها الشّعراء إلى نقد الأوضاع السياسية، والاجتماعية والسّير الفردية، والنّيل منها بأسلوب يترفع عن الشتيمة، والسباب المحض، ويتنزّه عن القذف والإيغال في الفحش، ورفث القول. (عامري، 2015، 7) وتنوعت موضوعات السخرية في شعره، فمنها سخرية من الحكام والسياسيين وسياساتهم، وسخرية من رجال الأمن ومن الشعراء ومن الإعلام ومن الفساد الاجتماعي ومن سياسة العرب تجاه فلسطين وكلها نقد لاذع لعيوب مستفحلة وشخصيات مستبدة، حاول أن يشخصها رافضاً لها ومتمرداً عليها وثائراً ومحرضاً على الوقوف ضدها والتصدي لها (العنبر، 2008، 28)

لجأ "مطر" إلى السّخرية لأنّه لا يستطيع أن يتكلّم بصراحة ليكشف ما يعيشه مجتمعه من فساد وكبت للحريّات، وانتهاك حقوق الإنسان على أيدي حكام العرب. وتبدو نفسيته من خلال شعره مفعمة بالحزن والأسى، لكنه بطبيعته الساخرة يمزج السخرية بالحزن، وهو يرى أن سخريته غير مستغربة، ذلك أنه من خلال استقرائه لواقع شرائح المجتمع وجد أن من يحسنون السخرية والإضحاك هم أكثر الناس امتلاءً بالحزن، فضحكه ضحك مر من شدة البكاء فلم يكن شاعرًا ساخرًا بقصد اللهو والعبث والإضحاك وإملاء الفراغ، بل كان جادًا في شعره

يقول أحمد مطر في ردّه على هذا السؤال (ما هي دوافع تركيزكم على الكاريكاتير): «أقول إنّني بطبيعتي ساخر، والّذين يعرفونني يعرفون أن السخريّة من طبيعتي حتّى في المواقف الدامية. لا أدري لماذا؟ هل السخريّة نوع من الدفاع عن النفس؟ ربّما يستطيع المختصّون بعلم النفس أن يحللوا هذا الأمر أفضل ممّا أستطيع، لكنّني من خلال مطالعاتي ومعايشتي لشرائح من المجتمع، وجدتُ أن من يحسنون السخريّة والإضحاك هم أكثر الناس امتلاء بالأحزان. أنا بالطبع لا أرمي إلى إضحاك الناس، بل أكتب على سجيتي من خلال مخزون كلي، فأستعرض شر بليّتنا، وشر البلية ما يضحك أحيانًا، لكنه ضحك مرّ، لأنّ النكتة مرّة سوداء، فهو ضحك من شدّة البكاء (حسن، 1987)،53.

أحمد مطر والقدس:

حظيت القدس بمكانة مرموقة في الأدب العربي. وتغنى بها الشعراء العرب على مر القرون. ونظرًا لما تكتسبه هذه المدينة من رمزية على مستويات عدة كالمستوى الديني، والمستوى الحضاري، والمستوى السياسي... فقد استقرت في ضمير الإنسان؛ فكانت محورًا لصراع بين الإمبراطوريات والحضارات المتعاقبة. وأصبحت حاضرة بشكل قوي في قصائد الشعراء العرب، فمنهم من تطرق لمكانتها الدينية، ومنهم من تطرق لمعالمها، ومنهم من جمع بين الجانبين فأصبحت القدس في شعرهم رمزًا مقدسًا يشعل النفس والمخيلة في السلم والحرب على حد سواء.

ويعتبر الشاعر العراقي أحمد مطر من الشعراء الذين اهتموا بالقضية الفلسطينية الّتي حازت مساحة شعرية لا يستهان في ديوانه الشِّعري ولافتاته، وحازت القدس بشكل خاص على اهتمامه. فهو الأديب المناضل والشاعر الشعبي المطلع على محن أمته وشعبه، الذي عاصر الظروف الراهنة وعاش في البلدان العربية والأوروبية، وتابع الأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية وجاء شعره تصويرًا للمجتمع بما يحمل من مشاكل وأزمات.

فقضية فلسطين من أهم القضايا التي تبلور الرؤية الشعرية عند أحمد مطر ومن أهم ركائز لافتاته إذ الجرح النازف على أرض فلسطين من سفك للدماء وهدم للبيوت واعتداء على النساء، وتدنيس للمقدسات، هو تحد سافر من دولة صغيرة ليس لها تاريخ عريق في المنطقة، لأمة تمتلك كل مقومات الصدارة والقوة والنصر لكنها تبقى مشلولة اليد في الوقوف والحد من انتشار الوباء الإسرائيلي في جسدها، وما ذلك إلا لعجز أنظمتها عن التخلي عن بعض ما تغرق فيه من بحر شهواتها على قضايا الأمة المصيرية. فيأسف الشاعر لتلك الحلول العقيمة التي تتمخض عنها تلك الأنظمة في حين يقدم الشعب الفلسطيني آلاف الشهداء في سبيل القضية. تأمل كيف يصوغ تلك الحسرة التي تشتعل في وجدانه على هذا الوضع البائس. (المعمري، 193،192، 2010) فيقول في قصيدة (القرصان):

بنينا من ضحايا أمسنا جسرا
وقدمنا ضحايا يومنا نَذرا
لنلقى في غد نصرا
ولكن قام عبد الذات
يدعو قائلا: صبرا
فألقينا بباب الصبر آلافاً من القتلى
وآلافا من الجرحى
وآلافا من الأسرى
وعبد الذات
لم يرجع لنا من أرضنا شبرا
ولم يضمن لقتلانا بها قبرا
ولم يلق العدا في البحر
بل ألقى دمانا وامتطى البحرا
فسبحان الذي أسرى
بعبد الذات
من صبرا إلى مصرا
وما أسرى به للضفة الأخرى! (مطر، 2011، 25)

فمبادرات الأنظمة العربية وخذلها لصفوف المقاومة الشعبية المسلحة جرت الأمة إلى نكسات متتالية، وها هي تمضي في هزائمها وإظهار ضعفها يومًا بعد يوم، وما تحقيق النصر إلا بالشعارات والأهازيج.

تأمل قصيدة (عائدون) التي يعبر فيها الشاعر بسخرية مريرة عن تلك المهزلة الواقعية التي لم يشهد التاريخ لها مثيلًا؛ حيث تتنامى صورة الأمة عند مطر ويتمشهد رمز من رموز الأمة عن طريق فلسطين والقدس حتى وإن لم يذكرها صراحة، فهي العاصمة والقضية المفصلية. لكن بغير البطولات التي يرتلها المرتلون في كل مرة والوعود التبجيلية يقول:

هرم الناس وكانوا يرضعون
عندما قال المغني عائدون
يا فلسطين ومازال المغني يتغنى

وملايين اللحون
في فضاء الجرح تفنى
واليتامى من يتامى يولدون
يا فلسطين وأرباب النضال المدمنون
ساءهم ما يشهدون
فمضوا يستنكرون
ويخوضون النضالات على هز القناني
وعلى هز البطون
عائدون
ولقد عاد الأسى للمرة الألف
فلا عدنا ولا هم يحزنون (مطر، 2011، 20)

يعد الشاعر أهل القدس بأنهم عائدون لتحريرها، حتى وإن استمر الحزن ألف مرة تحت وهم الغناء المهزوز، تحت فظاعة هذا الجرح النازف؛ وحقيقة الواقع السياسي المتعري تحت أكذوبة النضال الذي يتشدق به الحكام والمسؤولون عن هموم هذه الأمة. ففي النص ترتسم معادلة متضادة واسعة بين النضال الموهوم في هذه القضية، وواقع هذا النضال. وفي نص آخر يثير الشاعر متضادة أخرى ليثبت أن القدس محتلة من لدن كثير من الحكام العرب الذين يتدخلون حينما تؤول المشكلة إلى الحل لكي يعيدوا استعار جمرها والابتعاد عنها حينما تستعر. (الشمري، 2010، 81)

فيبدو الشاعر هو المناضل الحقيقي في ملحمة القدس، والذي بدوره سيمياء للشعر الأصيل، وكأن الشاعر يقول لم يعد للقضية الفلسطينية حضور إلا في الكلام المجرد والشعارات الرنانة الجوفاء. فهو يرى أنه لا أمل في كل المؤتمرات العربية التي تعقد ولا بكلامهم الفاشل الذي لا يفيد الشعب الفلسطيني في شيء، ولا يوجد هناك بارقة أمل تفيد القضية الفلسطينية وشعبها إلا في أطفال ثورة الحجارة، هؤلاء الأطفال سيعيدون للأمة كرامتها لذا هو يؤازرهم، ويطلب من القادة المنشغلين بجمع الأموال رفع أيديهم عن ثورة الأطفال حتى لا يدنسوها، وهذا ما يعبر عنه في قصيدة إتركونا:

حجر في كف طفل
عبادة
وصلاة بفم القادة
في ظل السلاطين: قوادة
حجر في كف طفل بفلسطين:
بلاد
وبلاد ليس منها حجر الطفل: بلادة!
أيها المنشغلون في عدّ الملايين
ارفعوا أسماءكم عنّا
لكي لا تسلبوا أرواحنا
طُهر الشهادة (مطر،136)

ولعل ما يغيظ أحمد مطر تباكي القادة العرب على العدو ونسيانهم فلسطين وشهداءها يقول:

ها هم يبكون لـ ابين
لمَ لَمْ يبكوا لفلسطين
ماذا تغني فلسطين
صناعة الشر ايين أمريكا وإسر ائيل

ويتحدث في قصيدة الحبل السري عن دولة إسرائيل يقول:

وما لنا نعيش في جهنم
وأمها في جنة تجري
من تحتها " الآبار"؟! (مطر، 17)

فهو يوظف كلمات جهنم تجري من تحتها الآبار ويقتلع الكلمات من سياقها القرآني ويجعلها في دلالة ثانية معاكسة للأولى، فالشعب العربي يعيش في جهنم وإسرائيل تجري تحت اقدام المؤمنين الصادقين ولكنها في الدلالة الثانية جعلها تجري من تحت أقدام الغاصبين لخيرات الشعوب، فقد وظفها في دلالتها المعاكسة مستفيدًا من ثقافة القارئ الدينية ومن المعنى الدلالي الأساس لتلك الكلمات (المنصوري، 2012، 98).

وما يلفت النظر في شعر أحمد مطر ارتباطه بواقع وطنه وأمته؛ حيث كانت القضية السياسية من أولوياته، فهو لا يكتب للعراقي فقط؛ بل للإنسان العربي أيضًا وللمقاومة الفلسطينية. فمن خلال شعره يعبر عن موقفه من القضية الرئيسية للعرب القضية الفلسطينية ليؤكد البعد الإنساني للقضية التي آمن بها وهذا دفعه ليكتب قصائد خاصة لفلسطين والقدس، يعبر من خلالها عن استيائه ورفضه لما يتعرض له الشعب الفلسطيني. من احتلال وتشريد، وبالوقت نفسه يسخر من صمت الحكام العرب هما يتعرض له الفلسطيني.

فالشاعر أحمد مطر من خلال قصائده الخاصة بالقضية الفلسطينية منتم لهذه القضية، قضية الإنسان والأرض والحرية وهي المحور الأساس التي بذل كل حياته في سبيل قضية حمل لها الكثير من الإخلاص والمحبة دون تبرم. ففي قصيدته – بين يدي القدس – يعتذر لفلسطين ولأهلها وللقدس بسبب تقصيره، فهو لا يملك إلا القلم والحرف يقول:

يا قدس يا سيدتي معذرة فليس لي يدان
وليس لي أسلحة وليس لي يدان
كل الذي أملكه لسان
والنطق يا سيدتي (مطر، 36)

فأحمد مطر يعرض التخلف العربي والتقاعس عن نجدتها رغم أنها حبست وربطت وقيدت وهجر شعبها وظلم، لذا يقدم الاعتذار لها، فهو لا يملك إلا اللسان ويبدي رغبته في حمل السلاح والوقوف في وجه من دمر الإنسانية وحرم الفلسطيني من حريته، أما الحكام العرب فيجتمعون على كؤوس بيضاء لمناقشة الموت المجان. ويعقدون المؤتمرات ويشكلون اللجان لدعم القضية ولا يفعلون شيئًا على أرض الواقع. فالقدس لن تعود إلا إذا كسرت الكؤوس وعادت العقول العربية إلى رشدها لرفع الظلم والدم وطرد المحتل. لكن للأسف تمر السنوات واللجان ما تزال موجودة اسمًا لا فعلًا وفلسطين تبقى محتلة والعالم يبقى متفرجا ينام على الموسيقى والفلسطيني ينام على وقع الرصاص.

وقد وظف الشاعر في هذه القصيدة " بين يدي القدس" الكناية للدلالة على قمع الكلمة ومصادرة حرية التَّعبير والرأي في قوله:

والنُّطق يا سّيدتي أسعاره باهظة

ونجد توظيفه للكناية أيضًا في قوله:

والموت بالمجان

فهي كناية عن الاستهتار بحياة الإنسان العربي وقتله السري والصامت. وتكررت لفظة الموت بلفظها مرة واحدة وذلك في قوله "أموت"، أما بمعناها فتكررت أربع مرات (جيفة، ويطعنني وقاتلي، ودمي وتابوت، وجثتي والقتلى). فالشَّاعر هنا بصدد تصوير حجم الاضطهاد الذي يتعرض له الشعب العربي، من طرف الملوك فهم أهل الحرب، والخراب والإتلاف وذلك بالقتل والأسر والإجلاء وغير ذلك من فنون الإهانة والإذلال. (مزوني، وصفاح، 2014، 32، 36، 38)

وفي قصيدة طفح الكيل يحمل الحكام العرب المسؤولية عما حصل للقدس المغتصبة فلولا تخاذلهم واستكانتهم وسكوتهم لما حصل ما حصل، يقول:

طفح الكيل
وقد آن لكم أن تسمعوا قولا ثقيلا
نحن لا نجهل من أنتم
غسلناكم جميعاً
وعصرناكم
وجففنا الغسيلا
إننا لسنا نرى مغتصب القدس
يهوديا دخيلا
فهو لم يقطع لنا شبرا من الأوطان

لو لم يقطعوا من دونه عنا السبيلا
أنتم الأعداء (مطر)

عبر الشاعر من خلال ألفاظ معينة وردت في قصيدته – الثقيل، المحتل، المغتصب، الأعداء – عن حجم الألم والمعاناة التي تعتصر قلبه. ألفاظ تدل على المقاومة اللفظية العنيفة تجاه من يجمعهم مع الفلسطينيين اللغة الواحدة، لكنهم بالوقت نفسه مهدوا الطريق للمحتل لكي يظلم ويقتل ويهجر. وسمحوا له بقتل الحلم الفلسطيني بالحرية، فهم الأعداء الحقيقيون لأنهم لم يساهموا في أن تكون القضية الفلسطينية قضية رأي عام وقضية عالمية.

ونجد أن أحمد مطر اعتمد في هذه القصيدة التكرار وسيلة لتوكيد فكرة التخاذل وإبراز الحالة السلبية لهؤلاء الحكام المتآمرين. ليعود ويؤكد في قصيدة ارفعوا عنا أقلامكم- عن اعتذاره للقدس ولفلسطين التي تمتلك وجدانه ومشاعره، فهو لا يملك سوى المقاومة اللفظية ضد المحتل. فكما هو معروف عن أحمد مطر تشكل السخرية ظاهرة بارزة في شعره ويبدو ذلك بشكل جلي في هذه القصيدة، حيث يسخر من الحكام المتخاذلين ويطلب منهم بأسلوب يتميز بالسخرية أن يصمتوا ولا يستجيبوا للاستغاثة المنطلقة من القدس وأبنائها. وأن استجابتهم الوحيدة تنحصر في التنديد والاستنكار عبر الصحف والقنوات الفضائية، لذا يطلب منهم أن يطول صمتهم كما طالت مقالاتهم الجوفاء. يقول:

ارفعوا أقلامكم عنها قليلاً
واملأوا أفواهكم صمتاً طويلاً
لا تجيبوا دعوة القدس
ولو بالهمس
كي لا تلبسوا أطفالها الموت النبيلا (مطر)

يتمنى أحمد مطر أن تكون نصرتهم للقدس نصرة حقيقية، وإلا فليتركوها لفتية يواجهون الموت لوحدهم أمام مرأى العالم وأمام القنوات التي لا تجيد إلا التصوير. وكذلك فهو يتمنى أن يستفيق الحكام العرب من سباتهم العميق لئلا تدمر القدس وتدنس ولا يبقى مجال بعدها لإنقاذها. والقصيدة تزخر بالرمز من خلال ألفاظ تعبر عما يعانيه ابن القدس – الباغي، الموت، البلوى –وها هو يسخر من أنظمة الحكم الديكتاتورية التي كانت سبباً في ضياع فلسطين يقول:

ولاة الأمر ما خنتم ولا هنتم
ولا أبديتم اللينا
جزاكم ربنا خيرا
كفيتم أرضنا بلوى أعادينا
وحققتم امانينا
وهذي القدس تشكركم
ففي تنديدكم حيينا
وفي تهديدكم حيينا
سحقتم أنف أمريكا
فلم تنقل سفارتها
ولو نقلت
لضيعنا فلسطين (مطر)

تُرى كيف يبارك مطر لولاة الأمر بذاك النصر المبتدع المزعوم؟ فالواقع مخالف لهذا تمامًا، ثم كيف يضع ولاة الأمر في منزلة القوة والشجاعة لتصبح القدس شاكرة لهم؟ وهل حَقًّا أنهم سحقوا أمريكا...؟؟ حقًّا إنها تساؤلات حتمًا ستولد مفارقة قائمة على الهزلية والسخرية، فالواقع يشي بغير ذلك تمامًا، فقد أراد مطر من ذلك أن يثير دهشة المتلقي عن طريق المفارقة القائمة على السخرية، بحيث يشعر المتلقي أن المعنى المراد هو عكس ذلك (الكساسبة، 2016، 68)

فسخرية أحمد مطر من هؤلاء الحكام واضحة. فالتنديد والتهديد الصادر منهم جعل أمريكا تتراجع عن نقل سفارتها إلى القدس، - لكن كما نعلم جميعًا نقلت أمريكا سفارتها إلى القدس قبل فترة وجيزة وللأسف لم نسمع سوى الشجب والاستنكار كعادة حكامنا - وتتجلى سخريته من الحاكم العربي في قوله:

يدخل إسرائيل خروفاً

ويعود إلينا قصاباً

وفي قصيدة – عاش يسقط – يقول:

يا قدس معذرة ومثلي ليس يعتذر
ما لي يد في ما جرى فالأمر ما أمروا
و أنا ضعيف ليس لي أثر
عار على السمع والبصر و أنا بسيف الحروف انتحر
و أنا اللهيب ونادني المطر
فمتى سأستعر؟ (مطر، 30،31)

وتبرز هنا الثنائية التضادية لتعكس لنا العلاقة بين الشاعر الذي يمثل الإنسان العربي وبين الحاكم عاش/ يسقط، معذرة/ ليس يعتذر، اللهيب/ المطر، فهو لا يملك إلا القلم/ السيف ...

وهذا التداخل بين ثنائيتين ضدتين رئيستين تبرزان في شعره (الذات / السلطة) أنتج أشعارًا انطلاقًا من هذا الفهم الجدلي المستمر مستعينًا بجدلية السلطة بين الذات والآخر ليرسم الواقع الإنساني ما بين ثنائيتي الحاكم والمحكوم. ويتحول الشاعر إلى رمز لهدم الأصنام ولهيب يطفئ المطر في محاولة منه إلى استنهاض همم الثائرين والمحبين لأوطانهم. وتتجلى سخريته من الحكام العرب الذين ضيعوا فلسطين والقدس في قصيدة أنا السبب الذي يتحدث فيها بلسان الحكام العرب الذين يعترفون بأنهم سبب ضياع القدس يقول:

أنا السببْ.
في كل ما جرى لكم
يا أيها العربْ.
سلبتُكم أنهارَكم
والتينَ والزيتونَ والعنبْ .
أنا الذي اغتصبتُ أرضَكم
وعِرضَكم، وكلَّ غالٍ عندكم
أنا الذي طردتُكم
من هضْبة الجولان والجليلِ والنقبْ.
والقدسُ، في ضياعها، كنتُ أنا السببْ.
نعم أنا.. أنا السببْ .
أنا الذي لمَّا أتيتُ: المسجدُ الأقصى ذهبْ.
أنا الذي أمرتُ جيشي، في الحروب كلها
بالانسحاب فانسحبْ.
أنا الذي هزمتُكم
أنا الذي شردتُكم
نعم أنا.. أنا السببْ.
في كل ما جرى لكم يا أيها العربْ.
وكلُّ من قال لكم، غير الذي أقولهُ،
فقد كَذَبْ.
فمن لأرضكم سلبْ .؟!
ومن لمالكم نَهبْ .؟!
ومن سوايَ مثلما اغتصبتكم قد اغتَصبْ.؟ !
أنا الزعيمُ المنتخَبْ .!؟
لم ينتخبني أحدٌ لكنني
إذا طلبتُ منكمو
في ذات يوم، طلباً

هل يستطيعٌ واحدٌ
أن يرفض الطلبْ .؟!
أشنقهُ، أقتلهُ،
أجعلهُ يغوص في دمائه حتى الرُّكبْ. (مطر)

ويكررُ الشاعر التأكيد على المسبب من خلال عبارة (نعم أنا ... أنا السبب) وهذا التأكيد المستمر ينُّم عن لوعة الشاعر وعدم قدرته على النسيان، وبالوقت نفسه تبلغ قمة السخرية من الحكام الذين ضيعوا فلسطين رغم أنه لم ولن يرد على لسان أي حاكم من الحكام الظالمين هذا الاعتراف بأنهم سبب هذا الدمار الذي أصاب العرب بقوله:

أنا الزعيمُ المنتخَبْ .!؟
لم ينتخبني أحدٌ ...
أنا الذي طردتُكم
من هضْبة الجولان والجليلِ والنقبْ.
والقدسُ، في ضياعها، كنتُ أنا السببْ.
نعم أنا.. أنا السببْ .
أنا الذي لمَّا أتيتُ: المسجدُ الأقصى ذهبْ.
أنا الذي أمرتُ جيشي، في الحروب كلها
بالانسحاب فانسحبْ.

ويستخدم أحمد مطر الأسلوب القرآني في بث مشاعره الملتهبة ضد الظلم فيقول:

أهل الضفة أنتم حق
وجميع الناس اباطيل
أنتم خاتمة الأحزان
و أنتم فاتحة القرآن
و أنتم إنجيل الإنجيل
يا من تعتصمون بحبل الله جميعاً
وبأيديكم حجر من سجيل
سيروا والله يوفقكم (مطر، 137)

يبرز هنا تأثر الشاعر أحمد مطر المباشر بالقرآن الكريم الذي اقتبس كثيرًا من صوره وألفاظه في محاولة منه لرسم المستقبل الواعد ودك حصون الظلم. فالصورة المشرقة التي رسمها للفلسطينيين مستمدة من الموروث القرآني، فهم الوحيدون المعتصمون بحبل الله وهم الوحيدون المقاومون الصامدون في وجه الاحتلال بحجارتهم التي هي من سجيل لذا سينتصرون في النهاية، فهم فاتحة القرآن وخاتمة الأحزان.

وعندما يكتب أحمد مطر عن فلسطين يصور المعاناة والظلم الذي يعيشه الفلسطيني تحت الاحتلال وفي الوقت نفسه يحفزه على المقاومة وعدم الاستسلام والخنوع، فالموت والحياة في ظل الاحتلال سيان لذا هو يهدد المحتل ويتوعده بعد فقد الأمل في حياة كريمة:

كلا.. والصبح إذا أسفر
ويطهر دماء ضحايانا
وتراب مواضع أرجلهم
من هامة اطهرهم أطهر
سنريكم سود ليليكم
في رابعة الظهر الأحمر
مم نخاف؟ ومم سنحذر
أطبقتم بالموت علينا
فإذا متنا ماذا نخسر؟

كل فتى منا قنبلة

فانتظروا حتى تنفجر (مطر)

وبالمقابل للأسف رغم مرور ثلاثين سنة على مأساة فلسطين لم يجد سوى الصمت والشعارات والطنطنة، حيث يربط الشاعر في قصيدة (شطرنج) بين حالة الوطن ورقعة الشطرنج يقول:

منذ ثلاثين سنة

لم نر أي بيدق

في رقعة الشطرنج يفتدي وطنه

ولم تطن طلقة واحدة وسط حروف الطنطنة

الفيل يبني قلعة

والرخ يبني سلطنة ويدخل الوزير في ماخوره (مطر،16)

فهو هنا يصف لنا حال الأمة العربية التي لم تفعل شيئا منذ ثلاثين سنة مرت على الاحتلال ويرمز للعرب بالبيدق في رقعة الشطرنج، ويشير إلى الاحتلال الذي رمز له بالفيل الذي يبني دولة محصنة وبالمقابل العرب لا هم لهم سوى الرقص والمواخير. فحالتهم بعد ثلاثين سنة من الاحتلال تعكس الضعف والهوان. ويكمل أحمد مطر المشهد في قصيدة (استغاثة) يقول:

الناس ثلاثة أموات

في أوطاني

والميت معناه قتيل

قسم يقتله " أصحاب الفيل "

والثاني تقتله " إسرائيل "

والثالث يقتله " عربائيل "

وهي بلاد

تمتد من الكعبة حتى النيل (مطر، 106)

لم يستثن أحمد مطر أحدا في وطننا العربي من الظلم الذي تتعرض له الشعوب العربية، فجهات عدة تساهم في قتل الإنسان العربي، قسم يقتله أصحاب الفيل وفي هذا المعنى تناص مع قوله تعالى: " ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل "، فأصحاب الفيل رمز للظلم في كل زمان ومكان ويتجسد في أمريكا اليوم التي هي امتداد لجبروت أبرهة الأشرم. وقسم تقتله إسرائيل في فلسطين الواقعة تحت احتلالها وجبروتها، أما القسم الثالث فيتجسد في الثلة الحاكمة في بلادنا العربية التي تتفنن في تعذيب أبنائها؛ لذا يثور أحمد مطر على الحكام الذين يستضعفون البشر فلمن نشكي؟؟ فالمواطن العربي محاصر بثالوث رهيب تمارس عليه أشد أنواع القمع ولم يعد هناك مكان للموت الطبيعي الذي أصبح أمنية مستحيلة التحقق. وهذا التناص مع القرآن الكريم هدفه إعطاء دلالات قوية تترك أثرًا في نفس المتلقي.

وفي مكان آخر يعتذر شاعرنا من القدس لعدم قدرته على الوقوف ضد مشروع تهويد القدس يقول:

يا قدس يا سيدتي معذرة

فليس لي يدان

وليس لي أسلحة

وليس لي ميدان

كل الذي أملكه لسان

والنطق يا سيدتي أسعاره باهظه

والموت بالمجان (مطر،36)

ويتجسد القهر والأسف على مدينة القدس التي عانت من الفساد والطغيان، هذه المدينة المقدسة قداسة الأنبياء لكن ترابها دنس ولوث. وهو لا يستثني أحدًا بما أصاب القدس، فالحكام العرب والزعماء مشاركون للاحتلال بما أصابها من كوارث فاستسلامهم وخنوعهم لأمريكا واكتفائهم بالبيانات المنددة ساهم في ضياع القدس، ويتجسد سخطه على ضعف الحكام ومؤتمراتهم التي لا ينتج عنها سوى الشجب والاستنكار والوعود الكاذبة مما يزيد الجرح إيلامًا يقول:

جاءت إليك لجنة
تبيض لجنتين
تفقسان بعد جولتين عن ثمان
وبالرفاء والبنين
تكثر اللجان (مطر،36)

ويطلب من القدس أن لا تنتظر الخير من الزعماء، فتكراره لكلمة لجنة تأكيد منه على الوعود الكاذبة التي يقدمها الزعماء في كل قمة.

وفي قصيدة النملة والفيل يطرح الشاعر قضية الصراع العربي الإسرائيلي بأسلوب قصصي ساخر؛ ليوضح أن الحجم ليس مقياسًا للقوة. فإسرائيل لا تمثل شيئًا أمام العرب مساحة وعددًا لكنها تتحكم بمصيرهم:

النملة قالت للفيل: قم دلكني
ومقابل ذلك ضحكني
وإذا لم أضحك عوضني
بالتقبيل والتمويل
وإذا لم أقنع.. قدم لي
كل صباح ألف قتيل
ضحك الفيل
تسخر مني يا برميل
ما المضحك فيما قد قيل؟
غير أصغر..
لكن لبى وهو ذليل
أي دليل
أكبر منك بلاد العرب
وأصغر مني إسرائيل!!! (مطر، 286)

استطاع "مطر" أن يرتفع بالواقعية الفردية المعاصرة إلى مستوى الواقعية الإنسانية العامّة ذات الطّابع الأسطوري، فاستوحى من الطبيعة رموز أسطورية تتبلور في كلمة واحدة، وهذا النّوع من الرّموز الأسطورية يرتبط بعناصر الطبيعة، ويحمل أبعاد دلالية مختلفة، وهذا ما ستكتشفه في قصيدة: "انتفاضة" فهي نموذج على ذلك:

كم حجراً في هذه السّاعة؟
ما زال بها اثنا عشر
إرم الحجر
يتمشق العدوّ بندقية
ويرسل النّار عليهم كالمطر
لكنّما
هم صامتون كالحجر
وصامدون كالحجر
ونازلون فوقه مثل القضاء والقدر
ارم الحجر
ارم الحجر
ليس لهم إذاعة
وليس عندهم صور
وليس بينهم حجر
يتمشقون... طبلة

ويفتحون ...مؤتمر!
إرم الحجر
إرم الحجر
عاصفة من حجر تصفح هامات الشّجر
تندلع الأطيار في آفاقها
وتذهل الأشجار عن أوراقها
وتحت و ابل الحجر
يسقط يانع الثمر
كم حجراً في هذه السّاعة؟
فيها وطنٌ
فيها منايا تحتضر
فيها ظلام فارق الرّوح
وصبح منتظر (مطر، 319)

يسأل الشّاعر في هذه الأبيات كم حجر بقي رغم علمه أنّها إثني عشر حجرًا، وذلك من أجل التعبير عن الصمود، والمواجهة برمي الحجر. وكلّ هذه الألفاظ (حجر، ساعة، اثنا عشر، إرم الحجر) دلالة على الوطن العربي وصموده ومقاومته للظّلم فهنا استحضر الشّاعر "فلسطين" وشعبها الرافض للاحتلال، والذي يقاوم بالحجر، فالشّاعر طبّق علاقة الجزء بالكلّ ومن خلال هذا الشعب العربي المتمثّل في شعب فلسطين الذي يقاوم بالحجر من أجل الرّفض والتغيير والحريّة عمّم على كلّ شعوب الوطن العربي التي تعيش في الظّلم والاستعباد من طرف حكّام العرب في قوله:

يتمشق العدوّ بندقية.
ويرسل النّار عليهم كالمطر

تحمل هذه الألفاظ (العدوّ، بندقية، النّار) دلالة الحرب والظّلم والسيطرة والاعتداء والاستبداد. لأنّ العدوّ يقابله بالبندقية وإطلاق النار عليهم بعد رميهم للحجر.

وفي قوله:
هم صامتون كالحجر
وصامدون كالحجر
ونازلون فوقه مثل القضاء والقدر

تحمل هذه الألفاظ (صامتون، صامدون، نازلون، حجر) دلالة المقاومة والصمّود والمواجهة فهنا شبّه الشّاعر صمودهم ومقاومتهم "بالحجر" الذي يقاومون به.

صوّر لنا الشّاعر في هذه الأبيات حالة الشّعب وفقدانه لكلّ شيء، وهذه الألفاظ والجمل تعكس ذلك (حفل رجمه، ثقل جسمه، فقد عزمه، ليس لهم أردية ولا فنادق، ليس لديهم ثورة أو دولة) وكلها تحمل دلالة على تجريد الشّعب من حقوقه وهويته. رغم كلّ هذا فهي ترمي الحجر وذلك من أجل المحافظة على "الحجر" والذي يحمل دلالة على الوطن والأمل، أي من خلال رميه فهم يحافظون على وطنهم وأملهم. صوّر لنا الشّاعر حالة الشّعب من خلال التّكرار "إرم الحجر"، وهي دلالة على معاناة الشّعب ومرارة الواقع وقسوته. (خادر، 2019، 58، 59).

وما يثير حنق أحمد مطر فيما يخص القدس وفلسطين، أن الأرض استبدلت، ووسم كل من يدافع عن حقه بالإرهاب فهو يرى أن من غيَّر الأرض واستباح الحياة الهادئة هو مَن صنع الإرهاب يقول:

أنصح كل مخبر
ينبح بعد اليوم في أعقابي
أن يرتدي دبابة
لأنني سوف ادفن راسه
إن دق يوماً بابي مطر أحمد (2011)

فقد طرح مفهومًا مخالفًا للإرهاب، ويكشف شعره عن وجهة نظره في قضية هامة من قضايا الوطن حيث نجد تفسيرًا مخالفًا لما تطرحه وسائل الإعلام الغربية وتتبناه الصحف الرسمية ووسائل الإعلام. فالإرهابي كما يراه صورة صنعها الغرب الذين يسمون كل فعل للعرب إرهاب في حين أنهم هم صانعو الإرهاب الحقيقي فهم لا يريدون العربي إلا دليلًا خاضعًا (عامر، 2019، 397، 440) يقول:

رائعة كل فعال الغرب والذناب
اما أنا فإنني
ما دام للحرية انتسابي
فكل ما أفعله
نوع من الإرهاب مطر، أحمد (2011)

حتى أنه في النهاية يهدد بأن صفة الإرهاب لم تعد تخيفه؛ بل إنه يهدد بأنه سيتحول لصورة مخيفة من أجل تحرير فلسطين وعاصمتها الأبدية القدس رغم أنف الاحتلال الذي يحاول الترويج للقدس الموحدة بشرقها وغربها كعاصمة له، وله أسبابه في ذلك:

نعم أنا إرهابي
زلزلة الأرض لها أسبابها
لن أحمل الأقلام
بل مخالبي
لن اشحذ الأفكار
بل أنيابي ولن أعود طيبا
حتى أرى شريعة الغاب بكل أهلها
عائدة للغاب مطر، أحمد (2011)

الخاتمة:

بعد الوقوف على صورة القدس في شعر أحمد مطر يمكن تلخيص أبرز نتائج هذه الدراسة على النحو التالي:

- القدس بالنسبة لأحمد مطر هي البوصلة التي على الجميع التوجه إليها، فبرز في شعره مدافعًا عنها، لا نجده متباكيًا، بل إنه على عكس ذلك يثير الحماسة.
- مطر في حديثه عن القدس لم يستجد الرثاء أو يستنزف الدموع بل مضى مندفعًا ثائرًا . وما يلاحظ على شعره عن القدس بروز الحزن والقهر؛ بسبب من يحكم القدس ويتحكم بفلسطين وكان حديثه قاسيًا عند حديثه عن القيادات العربية والفلسطينية التي ضيعت فلسطين والقدس ولم تهتم بما يحدث للشعب الفلسطيني وتركتهم يواجهون قسوة الاحتلال وغطرسته بأنفسهم دون معين أو نصير.
- أخذت قضية الوطن العربي القسط الأوفر من كتابات الشّاعر؛ لأنّه عكس في كلّ قصيدة معاناة شعوب الوطن العربي.
- تعتبر تجربة "أحمد مطر" من أعمق التجارب العربيّة تجسيدًا لهموم الإنسان في بلاده وتراثه وتاريخه الشّعري.
- ثار أحمد مطر على الحكام الذين يستعبدون الشعوب، فيصور حرب الكلمات بين الظالم والمظلوم، الحاكم والمحكوم، وكأنه يعبر عن تجارب الحياة بواسطة اللغة الساخرة. ونجد أن هناك ثيمة واحدة تغلب على معظم قصائده هي صورة الدكتاتور وأشكاله وطريقة تعامله مع الشعب المغلوب على أمره.

المراجع:

أولًا: المراجع العربية:

حسن، عبد الرحيم. (1987). لقاء مع أحمد مطر. *مجلة العالم:* (185)، لندن، 29 أغسطس.

خادر، سامية. (2019). *رمز الساعة وأبعاده الدلالية والفنية في ديوان الساعة لأحمد مطر*. رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري، الجزائر.

الدباغ، مصطفى. (1975). *بلادنا فلسطين*. ج9.

الشمري، تامر سمير حسن. (2010). تيمة التضاد في الخطاب الشعري لأحمد مطر. *مجلة جامعة بابل العلوم الإنسانية:* 18(1).

طويل، عبد السلام. (1992). جدلية القهر والحرية والثورة في شعر أحمد مطر. *مجلة الفرقان:* (26).

العارف، عارف. (1951). *تاريخ القدس*. القاهرة.

عامر، عزة عبد اللطيف محمد. (2019). القصيدة القصيرة عند أحمد مطر. تطبيق على لافتات. *مجلة كلية دار العلوم:* ع 125

عامري، شاكر. (2015). أسلوب شعر أحمد مطر السيّاسي رؤية نقدية، *مجلّة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية:* جامعة بابل، العدد 21 حزيران.

العنبر، نضال إبراهيم ياسين. (2008). آليات الرفض والتمرد في شعر أحمد مطر. *مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية:* 33(1).

الكساسبة، هشام حمد. (2016). *شعرية الهجاء السياسي - دراسة في شعر أحمد مطر*. رسالة دكتوراة. جامعة مؤتة.

مزوني، ريمة وصفاح، ريمة. (2013-2014). *دراسة أسلوبية لقصيدة بين يدي القدس" أحمد مطر "*. رسالة ماجستير جامعة البويرة.

مطر، أحمد. (2011). *المجموعة الشعرية*. دار الحرية، الطبعة الأولى.

المعمري، طالب أحمد. (2010). الالتزام السياسي والرؤية الشعرية _ أحمد مطر أنموذجاً. *حوليات آداب عين شمس:* المجلد 38 سبتمبر.

المنصوري، حافظ عبد العال. (2012). التوظيف القرآني في شعر أحمد مطر. *مجلة جامعة آداب الكوفة:* 5(13)، 98.

ثانيًا: رومنة المراجع العربية:

Aldbagh, Mstfa. (1975). Bladna Flstyn. J9.

Al'earf, 'Earf. (1951). Tarykh Alqds. Alqahrh.

Al'enbr, Ndal Ebrahym Yasyn. (2008). Alyat Alrfd Waltmrd Fy Sh'er Ahmd Mtr. Mjlh Abhath Albsrh Ll'elwm Alensanyh: 33(1).

Alksasbh, Hsham Hmd. (2016). Sh'eryh Alhja' Alsyasy - Drash Fy Sh'er Ahmd Mtr. Rsalh Dktwrah. Jam'eh M'eth.

Alm'emry, Talb Ahmd. (2010). Alaltzam Alsyasy Walr'eyh Alsh'eryh _ Ahmd Mtr Anmwdjaan. Hwlyat Adab 'Eyn Shms: Almjld 38 Sbtmbr.

Almnswry, Hafz 'Ebd Al'eal. (2012). Altwzyf Alqrany Fy Sh'er Ahmd Mtr. Mjlh Jam'eh Adab Alkwfh: 5(13), 98.

Alshmry, Tamr Smyr Hsn. (2010). Tymh Altdad Fy Alkhtab Alsh'ery Lahmd Mtr. Mjlh Jam'eh Babl Al'elwm Alensanyh: 18(1).

'Eamr, 'Ezh 'Ebd Alltyf Mhmd. (2019). Alqsydh Alqsyrh 'End Ahmd Mtr. Ttbyq 'Ela Laftat. Mjlh Klyh Dar Al'elwm: 'E 125

'Eamry, Shakr. (2015). Aslwb Sh'er Ahmd Mtr Alsyasy R'eyh Nqdyh, Mjlh Klyh Altrbyh Alasasyh Ll'elwm Altrbwyh Walensanyh: Jam'eh Babl, Al'edd 21 Hzyran.

Hsn, 'Ebd Alrhym. (1987). Lqa' M'e Ahmd Mtr. Mjlh Al'ealm: (185), Lndn, 29 Aghsts.

Khadr, Samyh. (2019). Rmz Alsa'eh Wab'eadh Aldlalyh Walfnyh Fy Dywan Alsa'eh Lahmd Mtr. Rsalh Majstyr, Jam'eh Mwlwd M'emry, Aljza'er.

Mtr, Ahmd. (2011). Almjmw'eh Alsh'eryh. Dar Alhryh, Altb'eh Alawla.

Mzwny, Rymh Wsfah, Rymh. (2013-2014). Drash Aslwbyh Lqsydh Byn Ydy Alqds " Ahmd Mtr ". Rsalh Majstyr Jam'eh Albwyrh.

Twyl, 'Ebd Alslam. (1992). Jdlyh Alqhr Walhryh Walthwrh Fy Sh'er Ahmd Mtr. Mjlh Alfrqan: (26).

المجلة الدولية للدراسات اللغوية والأدبية العربية

المجلد السادس، العدد الثاني، 81:64
حزيران (2024)

بحث رقم 2

مقاربة سيميائية
بين عائد إلى حيفا لغسان كنفاني والطنطورية لرضوى عاشور
Semiotic Approach
Between Ghassan Kanafani & Radwa Ashour

غادة مطر

Gada Mattar

كلية العلوم الإنسانية- جامعة تل-أبيب- فلسطين (الداخل)
Faculty of Human Sciences, Tel Aviv University, Palestine
mattar.gada@gmail.com

Received استلام البحث	Revised مراجعة البحث	Accepted قبول البحث
2024/1/10	2024/6/8	2024/6/28

DOI: https://doi.org/10.31559/JALLS2024.6.2.2

This file is licensed under a *Creative Commons Attribution 4.0 International*

رفـــاد REFAAD
www.refaad.com

International Journal for Arabic Linguistics and Literature Studies (JALLS)
المجلة الدولية للدراسات اللغوية والأدبية العربية
Journal Homepage: https://www.refaad.com/Journal/Index/6
E-ISSN 2663-5860 | P-ISSN 2663-5852

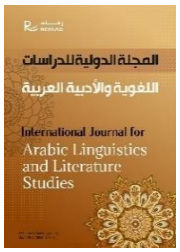

مقاربة سيميائية
بين عائد إلى حيفا لغسان كنفاني والطنطورية لرضوى عاشور

Semiotic Approach
Between Ghassan Kanafani & Radwa Ashour

الملخص:

الأهداف: هدفت الدراسة إلى متابعة ورصد التغييرات الحاصلة على الرواية في السياق الفلسطيني، من خلال المقاربة بين روايتين من فترات متفاوتة، لأديبين عاشا في فترات مختلفة، وتناولا مسألة القضية الفلسطينية وتهجير الشعب الفلسطيني كلٌ بلغته وأسلوبه ومخيلته، وهي رواية عائد إلى حيفا (1969كنفاني) ورواية الطنطورية (2010 عاشور).

المنهجية: سعت الباحثة إلى إجراء المقاربة بين الروايتيْن حسب المنهج السيميائي، وذلك من خلال تحليل البنية سيميائيًا ومقارنتها ببنية مماثلة بالحدث ذاته، بالوقوف على الآليات الإجرائية لتحليل الرواية، من حيث سيميائية العتبات النصية، الفضاء الزماني والمكاني، ثم سيميائية الشخصيات واللغة والسرد البارزة في كل منهما.

خلاصة الدرسة: وجد البحث أن هناك العديد من العلامات التي اتصلت بنفس الحدث، كالنكبة وهزيمة 67 واتفاقية أوسلو، قد تكررت في كلتا الروايتين، غير أنّه لوحظ وجود تغيير في دلالتها، وذلك مردّه إلى عاملين: موقف الكاتب نفسه من الموضوع المطروح، وتغيّر سياق الكتابة وتبدّل الأحوال من فترة إلى أخرى.

الكلمات المفتاحية: *الرواية الفلسطينية؛ مناهج النقد الحديثة؛ المنهج السيميولوجي؛ سيميائية السرد.*

Abstract:

Objectives: The study aimed to follow up and monitor the changes taking place in the novel in the Palestinian context, through comparing between two novels from different periods, by two writers who lived in different periods, and dealt with the issue of the Palestinian issue and the displacement of the Palestinian people, each in their own language, style and imagination, which is the novel Return to Haifa (Kanafani 1969) and the novel Al-Tantouriya (2010 Ashour).

Methods: The research sought to compare the two novels according to the semiotic approach, by analyzing the structure semiotically and comparing it to a similar structure in the same event by examining the procedural mechanisms for analyzing the novel in terms of the semiotics of textual thresholds, temporal and spatial space, and then the semiotics of the characters, language, and narration prominent in each of them.

Conclusions: The research found that there were many signs that were connected to the same event, such as the Nakba, the defeat of 1967, and the Oslo Accords, and they were repeated in both novels. However, it was noted that there was a change in their meaning, and this was due to two factors: the writer's own position on the topic at hand, the context of the writing changed, and conditions from time to time.

Keywords: *Palestinian novel; modern criticism methods; Semiological approach; narrative semiotics.*

المقدمة:

تُعدُّ الرواية من أبرز الفنون النثريّة على الساحة الأدبيّة، باعتبارها الفنّ الذي يحاكي الحياة بما تحمله من اضطراباتٍ وصراعاتٍ مختلفةٍ، كونها النوع الأدبيّ الأكثر اتصالًا بالواقع المُعاش. وقد احتلت الرواية الفلسطينيّة مكانةً رفيعةً بين الفنون الأدبيّة، وتُعدُّ أقرب جنسٍ أدبيٍّ إلى حياة الناس، إذ عُنيت عنايةً كبيرةً في قضايا الواقع الفلسطيني، وعايشت ظروف الشعب في محطّات مهمّة ومصيريّة، وباتت بمثابة مرآةٍ عاكسةٍ للمجتمع وللواقع الذي يعيشه الشعب الفلسطيني، وكان لها خصوصيتها زمانًا ومكانًا وشخوصًا بسبب واقعها التاريخي والسياسي، حيث تتفرّد بتراكيب ومفردات سياسية واجتماعية خاصة تعكس الوضع القائم، ابتداءً من نكبة 1948م وما تلاها، وكلّها نجدها تحمل دلالاتٍ ورموزًا خاصّة تتلاءم مع السياق الذي كُتِبت فيه، وقد عالجت الواقع الفلسطيني من جميع جوانبه الاجتماعية والفكرية والسياسية والثقافية. فالرواية الفلسطينية هي بالأساس رواية زمكانية، أما المكان فلما يمثله بالنسبة للفلسطيني، فهو الأرضية التي تقع عليها الأحداث، وتتحرّك خلالها الشخصيات وتدور فيها الصراعات في أزمنة وأمكنة متعددة ومحدودة، حيث يعكس المكان الحالات النفسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية للشخصيات من جانب، ويتفاعل مع الأحداث من جانب آخر ضمن إطار زمني محدد تقع فيه أحداث الرواية.

ولما كانت الرواية هي المرآة التي يسلطها الأديب على الواقع والمجتمع، فإن النقد هو المرآة العاكسة لهذا الإبداع، أو بعبارة أدق الفنّ المرافق والموازي له، من خلال سعيه الدائم إلى دراسة العمل السردي بوجه خاص وبطريقة علمية وموضوعية. فقد عرف النقد الأدبي الحديث والمعاصر بروز الكثير من الاتجاهات النقدية، التي أظهرت مقاربتها للنصوص الأدبية، حسب منهجها الإجرائي، وخاصة التي ظهرت ما بعد البنيوية، ومن أبرزها المنهج السيميائي (Semiology)، الذي اعتلى مسائل النقد الأدبي المعاصر نظرًا لشموليته وطريقته الموضوعية الواضحة في تحليل النصوص. وهو المنهج الذي تعتمده هذه الدراسة، وتقوم على تبني آلياته الإجرائية في كشف الدلالات والمعاني السردية، كونه يشكّل مدرسة لها قواعدها وعلمًا له أسسه وموضوعه الخاص، وقد تفرّعت عن هذا العلم العام فروع حاولت مقاربة النص الأدبي بإجراءاتها التحليلية وأسسها المعرفية في المقاربة، نحو سيميائية العتبات النصية، سيميائية الفضاء الزماني، سيميائية الفضاء المكاني، سيميائية الشخصية، سيميائية اللغة والسرد، وغيرها..

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

تكمن مشكلة الدراسة في الكشف عن المدلولات اللغوية، وتتبع الوسيلة في التعبير الأدبي، وأسلوب توظيف كل أديب للملفوظات بشكل فني، وما تحمله هذه الألفاظ من مدلولات مختلفة، يعبر بها عن فكرته المتأثرة بالظروف الراهنة، وحسب تجربته الإبداعية، وما يريد إيصاله للمتلقي، الذي يستقرئ ويحلل هذه الدلالات وفق ثقافته وبيئته.

ويمكن صياغة مشكلة الدراسة بالتساؤلات التالية:

- كيف تجلّت سيميائية المكان والزمان والشخصيات في عائد إلى حيفا (1969) لغسان كنفاني مقاربةً بالطنطورية (2010) لرضوى عاشور؟
- كيف تجلّت سيميائية اللغة وأسلوب السرد في عائد إلى حيفا (1969) مقاربةً بالطنطورية (2010)؟

أهمية الدراسة:

تكتسب الدراسة أهميتها من مجموعة نقاط، يمكن إيجازها فيما يلي:

- تحليل البنية اللغوية للنص من الداخل، في مستواها الخطي والتركيبي ومقارنته بنص يماثله بالحدث ذاته.
- إدراك نمط العلاقات التي تحكم تشكُّل النص، والكشف عن البنيات الدلالية وتفرعاتها.
- التركيز على دلالة كل من: الشخصيات، الزمان، المكان، الفضاء الروائي، واللغة السردية، وأسلوب السرد.
- إظهار خصوصية كل أديب في تعامله مع النص الروائي، الذي يمثل نفس الحدث لنفس الشخوص، نفس الزمان، ونفس المكان، ولكن باختلاف الراوي وزمن الرواية.
- تبيان الحقل الدلالي (semantic field) الذي التزمه كل أديب منهما، وارتباط هذا الحقل بالمسألة المطروحة.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

- إجراء مقاربة سيميائية بين روايتين من فترتين مختلفتين، ورصد التغييرات الحاصلة في سياق الرواية الفلسطينية وتبدّل الأحوال من فترة كنفاني إلى فترة عاشور، بتتبّع التحوّلات في مدلول العلامات وتأثير السياقات المختلفة على هذا المدلول، وإبراز موقف الكاتب نفسه من الموضوع المطروح.

- الوقوف على الآليات الإجرائية لتحليل الرواية الفلسطينية وتجلّياتها السيميائية، من حيث سيميائية العتبات النصية، وسيميائية العنوان، سيميائية الفضاء الزماني والمكاني، ثم سيميائية الشخصيات واللغة والسرد البارزة في كل منها.

أسئلة الدراسة:

- السؤال الأول: كيف تشكّلت البنية الزمانية في الروايتين، وما هي التقنيات التي مثّلت الخط الزمني في كل منها؟
- السؤال الثاني: كيف تجلّى الفضاء المكاني في كل رواية، وكيف كان حضور المكان في كل منها؟
- السؤال الثالث: ما هي طبيعة الشخصيات التي اختارها كل أديب لروايته؟ وما التغييرات الحاصلة عليها من فترة كنفاني إلى فترة عاشور؟
- السؤال الرابع: كيف تشكّلت البنى السردية في الروايتيْن وما هي تجليّات سيميائية اللغة أسلوب السرد فيها؟

فرضيات الدراسة:

الفرضية الرئيسية الأولى: إنّ سياق الكتابة يتأثر كثيرًا بالواقع الراهن، مما يؤدي إلى تغيير في تجليات الدلالة من فترة إلى أخرى، وذلك مردّه إلى عاملين: موقف الكاتب نفسه من الموضوع المطروح، وتبدّل الأحوال من فترة إلى أخرى. ويشتق منها الفرضيات الفرعية التالية:

- الفرضية الفرعية الأولى: إنّ كلّ رواية من هاتين الروايتين تقدّم صورة تخصّ الشعب الفلسطيني في فترة تاريخية معينة، وجاءت لتعكس الواقع الفلسطيني منذ عام 1948م وما أحاطه من أحداث بالماضي والحاضر والمستقبل إلى ما بعد هزيمة 1967م، ثم ما بعد اتفاقية أوسلو.
- الفرضية الفرعية الثانية: كل رواية منهما تقدّم صورة لواقع الشعب الفلسطيني في مرحلة معينة، وتبيّن مأساته ومعاناته مع التهجير والاغتراب واللجوء، وتعالج القضية الفلسطينية من وجهة نظر فنيّة بعيدة عن مجرّد الوصف التاريخي التقريريّ، فتدمج ما بين الوقائع التاريخية والمشاهد الفنية المتخيلة.
- الفرضية الفرعية الثالثة: ترتبط الدلالة باللغة السردية والتي لها علاقة بالبيئة المحيطة وبثقافة الشعب الذي يتملّكها، بمعنى أن تفسير الدلالة ومكوناتها من دالّ ومدلول تختلف حسب البيئة التي يعيش فيها الأديب والمتلقي على السواء.

مصطلحات الدراسة:

- **المنهج السيميولوجي أو السيميائي أو السيميوطيقي:** هو المنهج الذي يهتم بدراسة حياة العلامات اللغوية وغير اللغوية في النص دراسة منتظمة، وينطلق من التركيز على العلاقة بين الدال والمدلول، إذ يشير سوسير: إن الكيان اللغوي يستمد وجوده من الارتباط بين الدال والمدلول (Saussure ,1983,p.67) .
- **العلامة اللغوية:** والتي تقوم على ثنائية الدال والمدلول، العلامة تتشكّل من علاقة الربط بين الدال (signifier). وهو الصورة السمعية، والمدلول (signified)، وهو الصورة الذهنية، تلك العلاقة ذات الطبيعة الاعتباطية، فالدال يحيل على المدلول وفق علاقة عرفية، حيث تقوم هذه العلاقة من خلال اعتباطيتها تلك، بإنتاج المعاني وتداولها وفق قواعد خاصة. (G. Prince, 2003, p.89)
- **سيميائية السرد:** يعدّ مصطلح علم السرد أو السردية (Narratology) من المصطلحات التي دخلت دائرة التوظيف النقدي تحت تأثير البنيوية، هدفه توفير الوصف المنهجي للخصائص التفاضلية للنصوص السردية، ليشمل الجوانب النظرية والتطبيقية. وتعتبر الرواية حقلًا سرديًا غنيًا ومتنوعًا للغاية، فكل ما يمكنك أن تجده في أنواع السرد الأخرى، مثل: القصة أو الرواية.
- **النموذج العاملي:** لقد اتّخذه السّيميائي غريماس من خلاله تصوّرًا جديدًا يعتمد على الاختلافات المنتجة للمعنى لكشف الدلالة، في عوامل ستة.

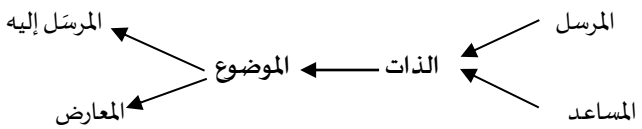

تخطيط: العوامل الستة في البرنامج السردي

(Greimas 1987, p. 90)

الإطار النظري والدراسات السابقة:

الإطار النظري:

يُعدّ موضوع الدراسة من الموضوعات المهمة والتي ما زالت بحاجة إلى مزيد من الدراسة والبحث، من أجل إلقاء الضوء على تطور الدلالة سيميائيًا في سياق الرواية الفلسطينية، والتحولات التي تطرأ على البنية السردية لذات الحدث، بمجرد سرده في فترات متباعدة، لتبين أثر أحداث اللحظة الراهنة على منظور الأديب وتصوّراته.

الدراسات السابقة:

إنّ الدراسة تدور في ثلاثة محاور أساسية: الأول، هو المنهج السيميولوجي، الثاني، أدب غسان كنفاني، الثالث، أدب رضوى عاشور. أما بالنسبة للمحور الأول، وهو المنهج السيميولوجي، فبعد اطلاعنا على مجموعة من الكتب والدراسات والأبحاث التي تختصّ بهذا المجال، لاحظنا أنّ الكثير من الباحثين قد تناولوا إشكالية المصطلح في تسمية المنهج ذاته، ما بين السيمولوجيا، السيميائية، السيميوطيقا. وكان من الملاحظ أنّ المنهج السيميائي تم بحثه بشكل بارز من قبل النقاد المغاربة، فقد نشطت عندهم بشكل ملفت حركة الترجمة والتقديم لمختلف النظريات البنائية والسيميائية.

- يعدّ الباحث **رشيد بن مالك** من أبرز النقاد الجزائريين الذين ساهموا في تقديم الدراسات النقدية السيميائية، من خلال ترجمته للعديد من المؤلفات والبحوث السيميائية، وعمل على تقديم النظرية السيميائية في أصولها، وتبسيط مفاهيمها وقواعدها، وقدّم مؤلفه المشهور **"قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص"** حيث تضمّن القوالب المفهومية للمصطلحات السيميائية.
- كما كان **لعبد الحميد بورايو** إسهامٌ في مجال البحث السيميائي من خلال العديد من المؤلفات التي شرح من خلالها النظرية السيميائية. وكان أيضًا هناك إسهامٌ بارزًا **لعبد الملك مرتاض** محاولًا الإحاطة بالمناهج الجديدة، حيث بدأ الاشتغال على النظرية السيميائية والأسلوبية والتفكيكية. وقد أثمرت تجربته عما يزيد على عشرة مؤلفات.
- كما واختص **سعيد بنكراد** في تقديم أبحاث غريماس وكورتيس وفيليب هامون. حيث لمس بنكراد صعوبة الإلمام بالإنتاج السيميائي الغريماسي نظرًا لتوزعه عبر مؤلفاته الكثيرة.
- وتأثر الناقد **محمد مفتاح** بالحداثة الغربية ومصادرها، لذا جاءت كتاباته مستمدة من ثقافات ومناخات معرفية متعددة.

أما المحور الثاني، وهو أدب غسان كنفاني فقد أحاطت بكنفاني وأدبه العديد من الدراسات، والعديد من الكتب، التي يتعذّر جمعها في هذا الباب المختصر، لذلك سوف نسلط الضوء على الدراسات التي اعتمدناها في بحثنا هذا.

- لقد بحثت رضوى عاشور في **"الطريق إلى الخيمة"** (2016) أعمال كنفاني القصصية والروائية، فقامت بتحليل وتقييم أعمال كنفاني من خلال قراءة نقدية، حيث تناول الفصل الخامس منه رواية **"عائد إلى حيفا"** بالتحليل مبينًا تأثير هزيمة 1967 على الشعب الفلسطيني.
- كما وقدّم كبار الأدباء والنقاد لأعمال كنفاني، فقدّم الناقد **"إحسان عباس"** للمجلد الأول من **"الآثار الكاملة"**، وتحدّث عن الرمزية في أدب كنفاني. وفي تقديم الأديب **"يوسف إدريس"** للمجلد الثاني من الآثار الكاملة، يشير: "إنّ الكتابة قضية، والكاتب إنسان صاحب قضية، وقيمة الكاتب الفنية تستمد كمّها وكيفها من القضية، بمقدار صدقه تكون قيمته". (كنفاني 1987، المجلد 2، صفحة11-14)
- وكذلك يشير الكاتب **"سهيل كيوان" (2003)** أن الأدب الجيد يخدم القضية، وأن غسان قد تمكن من تحويل حياة اللجوء والبؤس والتشرد إلى نصوص فنية، بل كان جزءًا منها ومتفاعلًا معها. (كيوان 2003، صفحة17)

وكذلك أعمال رضوى عاشور وهي المحور الثالث لهذه الدراسة، وأن أعمالها نالت جوائز مرموقة في العمل الروائي. حتى أخذت تجذب انتباه العديد من الباحثين، وجاءت هذه الدراسة لتضيف إلى المكتبة العربية دراسة محورها الكاتبة والروائية رضوى عاشور.

- لقد تناول الباحث **إسماعيل علي (1990)** في مؤلفه **"عتبات النص في الرواية العربية"**، وهو بمثابة دراسة سيميولوجية سردية، يتناول فيها الكاتب رواية "قطعة من أوروبا" لرضوى عاشور، ليتعرف على مدى ترابطها مع عتبات النص، مع الوضع في الاعتبار الزمان والمكان، حيث تشكل منهما النسيج الروائي، لمعرفة إشارات العتبات في سياق تعالقها مع النص. (إسماعيل، 1990، صفحة161)
- وكذلك **عبد السلام أقلمون (2010)** ناقش في كتابه **"الرواية والتاريخ"** ثلاثية غرناطة لرضوى عاشور، وكانت نموذجًا تطبيقيًا للرواية التاريخية وتناولها في تسع وستين صفحة بعنوان ثلاثية غرناطة تاريخ بطعم الفناء.
- كما وتناول **نبيل حداد (2010)** في كتابه **"بهجة السرد الروائي"** السرد الروائي، وأخذ نماذج تطبيقية على لغة السرد، إذ تناول الكاتبة رضوى عاشور في روايتها "سراج" وناقشها في السرد المتخيل واستحضار الموروث.

منهجية الدراسة وإجراءاتها:

منهج الدراسة:

لقد اعتمدت الدراسة على المنهج السيميائي، وما يقدمه من آليات خاصة في الجانب الإجرائي، وقد سارت الدراسة وفق خطة محددة، وحسب ما تقتضيه مجريات البحث في هذا الموضوع. مستفيدة من الكتابات النقدية الأم، التي نظرت إلى مصطلح السيميائية، كما استفدت من الدراسات النقدية والتطبيقية حول مفهوم السيميائية.

عينة الدراسة:

تعتمد الدراسة على تحليل روايتين: عائد إلى حيفا (1969) لكنفاني والطنطورية لعاشور (2010)، وقد جاء اختيارنا لهاتين الروايتين، كونها تناولت موضوع الأحداث والوقائع ذاتها فيما يخصّ القضية الفلسطينية، خاصة أنها كُتبت في أزمنة متفاوتة. أما قرار رصد محتواها الدلالي واللغوي بمنظور المنهج السيميائي، فكان بدافع الرغبة في التعمق والبحث فيما حملته مضامين هاتين الروايتين من دلالات ورموز مختلفة، وكونه المنهج الذي يركّز على العلامة كوحدة بناء مرتبطة بسياقها، فقد سعى البحث إلى إجراء مقاربة سيميائية بين أديبين عاشا في فترتين مختلفتين، وتناولا مسألة القضية الفلسطينية وتهجير الشعب الفلسطيني كلٌ بلغته وأسلوبه ومخيلته.

الإطار التطبيقي:

- **سيميائية البنية السردية:**

بعد تتبع البنية السردية للروايتين، نلاحظ أنّ القضيّة الفلسطينيّة بأعقاب النكبة والتهجير تشكّل المحور الأساسي فيهما. فنجد أنّ كلتا الروايتيْن قد ترصّدت لنفس الحدث، وهو نكبة 1948م، تارةً بقلم أديبٍ فلسطيني مغتربٍ، كتبها في ستّينات القرن الماضي، والأخرى بعد هزيمة 1967، وبعد أوسلو بقلم أديبةٍ مصريّة الأصل. وقد تحيل كلُّ روايةٍ على الواقع الفلسطيني المُعاش في المرحلة التي كُتبت فيها، فنجد أنّ محورها حول حالة الضياع في الواقع الفلسطيني في السنوات التي تلت نكبة 1948م، والتي جعلت الشعب الفلسطيني مشرّدًا بلا مأوى، ثمّ انتقاله إلى حالة الخيبة والخذلان بعد هزيمة 1967م، واتّخاذ قرار المقاومة وحقّ العودة كما في عائد إلى حيفا، وصولًا إلى منعطف آخر بعد اتّفاقيّة أوسلو 1993م. ووقوفًا عند العنوان، وهو العتبة الأولى للنص، وأول مثيرٍ سيميائيٍ يقابل القارئ، لذا فقد حظِيَ العنوان بكثير من الاهتمام لدى النقّاد والباحثين، وقد أولت السيميائية له أهمّيّةً كبرى، إذ يشير قطوس: "يعتبر العنوان مصطلحًا إجرائيًّا ناجحًا في مقاربة النص الأدبي، نظرًا لكونه مفتاحًا أساسيًّا بامتياز، يغري الباحث بتتبّع دلالاته"(قطوس، 2001، صفحة 33). فنلاحظ من خلال البنية السردية في رواية عائد إلى حيفا، غياب الفهرسة العنوانية اللغوية، واستبدالها بالأرقام، بالمقابل نجد في رواية الطنطورية أنه تحت العنوان الرئيسي، تندرج مجموعة من العناوين الفرعية، وقد شكّل كل عنوان منها فصلًا، حيث وصل عددها إلى ثمانية وخمسين فصلًا، بعضها تكوّن من مكوّن زماني نحو: السبت 5\15، و1982، وبعضها مكون مكاني، وقد تنوّعت دلالات هذه العناوين بين دلالات حقيقية وأخرى مجازية.

- **مقاربة في سيميائية الفضاء الزماني وتجليّاته**

تُعدّ دراسة الزمان والمكان في الرواية الفلسطينيّة عملًا أساسيًّا، حيث مُيّزت بخصوصيّتها عن غيرها من الأعمال الأدبيّة الأخرى بسبب الظروف السياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة التي تحيط بفلسطين، فدراسة الزمان وما يحمله من دلالاتٍ، يساهم في الكشف عن أبعادٍ مختلفةٍ لتاريخ قضيّةٍ وحياة شعبٍ. وقد فصلت الدراسة بين زمن القصة وزمن السرد.

زمن القصة: إذ لم يتطابق فيها تتابع الأحداث مع الترتيب الطبيعي كما يُفترض أنّها جرت بالفعل، ويمكن تمثيلها من خلال التخطّيط التالي:

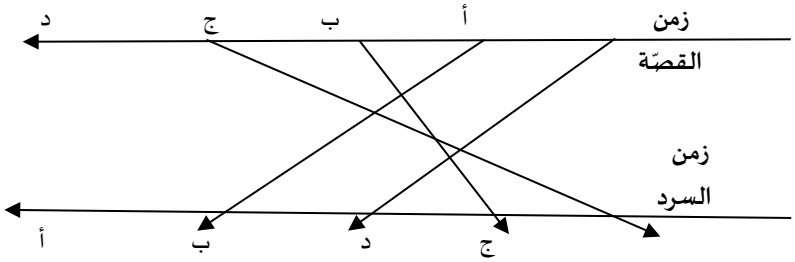

ترتيب الأحداث – عائد إلى حيفا 1969م

1. تبدأ العتبة الزمنيّة للرواية من بداية أربعينيّات القرن الماضي، 1940م فقدان ميريام لأخيها على يد النازيين.
2. في أوائل تشرين الثاني 1947م، مغادرة أفرات كوشين وزوجته ميريام وارسو عن طريق الوكالة اليهوديّة. مع بداية أحداث النكبة، بداية كانون أول 1947، بدر اللبدة أوّل من يحمل السلاح في منطقة العجمي.
3. في آذار 1948م حضور أفرات وزوجته إلى حيفا، واستشهاد بدر اللبدة في 6 نيسان 1948م.
4. ثمّ تتصاعد أحداث الرواية بتقدّم عنصر الزمن، لتنقلنا إلى أهمّ حدثٍ في تلك المرحلة، التهجير، ثمّ يوم 21 نيسان 1948م، تهجير أهالي حيفا عبر الميناء، ومن ضمنهم سعيد وصفيّة، تاركين طفلهم خلدون ابن الخمسة شهور، تسمع بكاءه باليوم التالي المرأة التي تسكن فوقهم.
5. 30 نيسان 1948م استلام أفرات كوشين وزوجته بيت سعيد وطفله خلدون.
6. بداية مشوار التهجير في رام الله، ليستمر عشرين سنة، حتّى 1967م العودة إلى حيفا.
7. في حزيران 1967م دخول سعيد وصفيّة حيفا، زيارة البيت.
8. حضور دوف (خلدون)، ورفضه لوالديه.
9. وعي جديد: إنّ الوطن ليس الماضي، إنّما الوطن هو المستقبل.

ترتيب الأحداث – الطنطوريّة 2010م

1. تتمّ العتبة الزمنيّة للرواية من أربعينيّات القرن الماضي، إذ تبدأ الأحداث مع رُقيّة بطلة الرواية، بينما كانت فتاةً صغيرةً في الثالثة عشر من عمرها، تسرد لنا مشاعرها تُجاه الشابّ وقصّة خطّبتها من ابن عين الغزال.
2. ثمّ تتصاعد أحداث الرواية بتقدّم عنصر الزمن، لتنقلنا إلى أهمّ حدثٍ واجه الفلسطيني، وهو قرار التقسيم عام 1948م، لتشهد مرحلةً مفصليّةً في مصير الشعب الفلسطيني، فيها يتمّ تهجير العديد من المدن والقرى الفلسطينيّة، ومن بينها الطنطورة، وفيها تخسر رُقيّة والدها وأخويها.
3. ثمّ تبدأ رُقيّة رحلة التهجير والشتات مع والدتها بين البلدان والدول العربيّة، حتّى تصلا صيدا عند عمّها أبي الأمين، فتحيا رُقيّة في كنف عمّها زمنًا، وتتزوّج من ابن عمّها أمين وتنجب ثلاثة أولاد.
4. يكبر الأولاد ويسافرون خارج البلاد، وتكبر رُقيّة وتفقد زوجها في مذبحة صبرا وشتيلا، فتصبح وحيدةً مع ابنتها بالتّبنّي مريم.
5. تكمل رُقيّة رحلة الاغتراب، فتُصبح مع أولادها خارج حدود الوطن.
6. يفترق الجميع وتعود رُقيّة إلى وحدتها، تراودها أحلام العودة، وذكريات الطنطورة.
7. تكمل رُقيّة مع أولادها رحلة الاغتراب خارج حدود الوطن.
8. يفترق الجميع، تعود رُقيّة إلى وحدتها، وتراودها أحلام العودة وثورة الذكريات.
9. العودة إلى لبنان.

زمن السرد:

تبدو العلاقة بين السرد الروائي وعنصر الزمان وطيدةً، فكلمة السرد في ذاتها تعني التتابع الزمني للوحدات الحكائيّة، وكلّ روايةٍ تفترض نقطة انطلاقٍ زمنيّةٍ معيّنةٍ، سواء أكانت هذه الانطلاقة تشير إلى تاريخٍ محدّدٍ، أم وقتٍ محدّدٍ، أم حدثٍ معيّنٍ في فترةٍ زمنيّةٍ محدّدةٍ. فكلّ روائيٍّ يختار نقطة البداية التي تحدّد حاضر السرد، وكما نلاحظ أنّ نقطة بداية السرد تختلف من روايةٍ لأخرى، على مستوى الزمان والحدث، وإذا تتبّعنا الحدث السردي الأوّل لكلّ روايةٍ، نلاحظ أنّ الزمن يمثّل عنصرًا أساسيًّا في بناء العمل الروائي، إذ لا يمكن أن يتمّ سرد الأحداث بمعزلٍ عنه، فنلاحظ في عائد إلى حيفا عدم التوافق بين بداية زمن القصّة وبداية زمن السرد، بينما توافقهما في رواية الطنطوريّة، والذي سنبيّنه في الجدول التالي:

جدول (1): مقاربة سيميائية في الحدث الأول لكل رو اية

الرواية	بداية زمن القصة	بداية زمن السرد
عائد إلى حيفا	1940 مداهمة النازيين لبيت ميريام أحداث ما قبل النكبة والتهجير	1967 دخول سعيد وصفيّة إلى حيفا
الطنطورية	1947 أحداث ما قبل النكبة والتهجير	1947 مع بداية أحداث النكبة والتهجير

إنّ هذا الوقوف على الزمنَيْن: زمن القصّة وزمن السرد، يوضّح مدى التدخّل والتشعّب بين التسلسل الزمني في الترتيب النصّي، ويظهر أيضًا استحالة تتبّع خطّ زمنيّ دون العودة إلى الماضي أو الإشارة إلى المستقبل، وهذا ما سيتضّح أكثر من خلال الوقوف على نماذج من المفارقات الزمنيّة. فإذا توقفنا على الزمن السردي للروايتين، نلاحظ التداخل بين الأزمنة، بحيث تجعل الأحداث في نظام زمني لا تخضع الأحداث فيه لقوانين الزمن الطبيعي، فقد نرى بعض الأحداث المتأخرة في ترتيبها الزمني تأتي سابقة في الترتيب وبالعكس. إذ يترك المؤلف لذاكرة السارد التداعي، والانتقال بين الأزمنة: الماضي والحاضر والمستقبل، من خلال تقنيات الزمن. وهذا ما سيتضّح أكثر من خلال الوقوف على نماذج من المفارقات الزمنية.

- **تجليات المفارقات الزمنيّة (Anachronies narratives)**

بخصوص المسار الزمني السردي في الروايات، نلاحظ انكسارًا في خطّ الزمن، وأنّ هناك تلاعبًا في المسار الزمني، وعدم تطابق زمن السرد مع زمن القصّة، إذ لم يتمّ الالتزام بالزمن المنطقي والطبيعي، كحال الرواية التقليديّة في سرد الأحداث، بل تمّ اتّباع مسار الثنائيّة في الزمن، ممّا نجم عن ذلك المفارقات الزمنيّة. وقد تنوّعت طريقة تقديم الزمن في الروايات، فمنها ما اعتمدت بالغالب على تقنيتَي الاسترجاع والاستباق، ممّا يؤدّي إلى تكسير زمن السرد، وتداخل الأزمنة الثلاثة (الماضي والحاضر والمستقبل) فيما بينها.

- **مقاربة في سيميائيّة الاسترجاع (Analepsis)**

بعد الوقوف على ترتيب الأحداث الطبيعي للروايتيْن، صار بالإمكان تعيين حاضر السرد فيها، ومنه سيتم رصد بنية الاسترجاع، ومن الجدير بالذكر أنّه بعد تتبّع الأحداث في كلتا الروايتيْن، وجدنا أنّ الكثير من الاسترجاعات تعود لحدث النكبة والتهجير، فهو الحدث الذي كان له الأثر الكبير بشكلٍ أو بآخر فيها، لذا سنعمل على رصد استرجاع هذا الحدث في كلّ روايةٍ، من خلال مقاربةٍ سيميائيّةٍ لخطّ الزمن. أمّا في رواية عائد إلى حيفا، فبعد تأمّل الانطلاقة السرديّة الأولى، نجد أنّها بدأت من النقطة 7 من ترتيب الأحداث، التي تمثّل الزمن الحاضر، وكانت لحظة دخول سعيد وصفيّة إلى حيفا، في 30 حزيران 1967، والتي جاءت مشحونةً بالمشاعر المبهمة والعائمة، وغير الواضحة، "لقد جاءت الأمور والأحداث فجأة، وأخذت تتساقط فوق بعضها وتملأ جسده.. صفيّة زوجته، تحسّ الشيء ذاته، وإنّها لذلك تبكي"(كنفاني 2006، صفحة 9). فهذا الحاضر جاء مبطّنًا عائمًا، والذي تكشّف لنا فجأةً. حين ينقلنا السرد إلى النقطة 4 مباشرة، من خلال مقطعٍ استرجاعيٍّ تعود أحداثه عشرين سنةً للوراء، فيعود بنا سعيد إلى تاريخ تهجيره من حيفا: "صباح الأربعاء، 21 نيسان، عام 1948م"(كنفاني 2006، صفحة 14). لمّا مُنع الناس من العودة إلى بيوتهم، كان سعيد واحدًا من الفلسطينيين الذين غادروا حيفا على متن زوارق الإنقاذ، مخلّفين وراءهم كلّ ما يملكون حتّى أبناءهم، ولأوّل مرّةٍ: "منذ عشرين سنة، تذكّر ما حدث بالتفصيل، وكأنّه يعيشه مرّةً أخرى"(كنفاني 2006، صفحة 14). إنّ هذا الاستذكار الذي يشغل ما يقارب عشر صفحات، يصوّر كنفاني من خلاله حجم المأساة التي تعرّض لها الحيفاويون الذين أرادوا العودة إلى بيوتهم في ذلك اليوم ليجدوا أنّ جميع الدروب قد سُدَّت، وليس ثمّة طريقٌ واحدٌ، وهو الطريق المؤدي إلى البحر، ومنه إلى المنفى: "وبعد لحظاتٍ شعر سعيد أنّه يندفع دونما اتّجاه، وأنّ الأزقّة المغلقة بالمتاريس أو بالرصاص، أو بالجنود، إنّما تدفعه دون أن يحسّ إلى اتّجاهٍ وحيدٍ... كان قد تزوّج قبل عامٍ وأربعة أشهر من صفيّة"(كنفاني 2006، صفحة 15).

فيصوّر كنفاني خلال هذه البنية السرديّة الحياة المأساويّة التي عاشها الفلسطينيون على أثر نكبة 1948م، التي جعلت منهم شعبًا مشرّدًا بلا مأوى وبدون أرض. وأخيرًا يتّضح بأنّ الكاتب ينتقل من زمانٍ واحد إلى أزمنةٍ ثلاثةٍ متداخلةٍ تكون من الحاضر إلى الماضي، ومن الحاضر إلى المستقبل من خلال الحركة التالية منذ النكبة: حيفا (الحاضر بعد 20 سنة) إلى حيفا (الوطن قبل الهجرة) إلى رام الله (بلد الغربة والتهجير) إلى حيفا (الحاضر بعد العودة) إلى رام الله (الرجوع بعد الإنكار) ثمّ أمل العودة إلى حيفا (الأمل في الرجوع للوطن في المستقبل).

كما تُعدّ رواية الطنطوريّة أيضًا ميدانًا خصبًا للمفارقات الزمنيّة، فالرواية مليئة بالأحداث والتفاصيل التي تمتدّ على أكثر من خمسين عامًا، لتضمّ في داخلها مأساة ثلاثة أجيالٍ متتابعةٍ: جيل الآباء (أبو الصادق وأبو الأمين)، جيل الأبناء (رُقيّة وأمين وعز)، وجيل الأحفاد (حسن وصادق وعبد). الجيل الأوّل، الذي شهد الموجات الأولى للتهجير وعانى صدمة اللجوء والشتات، بعد قرار التقسيم عام 1948م، وقد أحاط السرد ظروف هذا الجيل بالاسترجاع، الذي غلب على أكثر مشاهد السرد. فعند تأمّل العتبة الأولى للسرد في رواية الطنطوريّة، نجد أنّ حركة الزمن فيها تختلف عن حركة السرد في الروايات السابقة، التي تحرّك فيها خطّ الزمن من الحاضر إلى الماضي. إذ نجد أنّ الانطلاقة السرديّة الأولى لرواية الطنطوريّة، كانت أكثر تعقيدًا من أن تُفصِح عن الحاضر السردي، فالانطلاقة الأولى هذه المرّة تشكّل نقطة 1 من ترتيب الأحداث، وهو ما يتناسب مع انطلاقة زمن القصّة، حيث رُقيّة ابنة الثالثة عشر، وقد التقت بابن عين الغزال لأوّل مرّة: "كنت أقف أمامه على الشاطئ.. أتلصّص عليه وهو غافلٌ عني" (عاشور 2010، صفحة 7)، ولكن لم يلبث الخطّ الزمني أن ينحرف عن مساره مباشرةً، وإذا بنا في الحادثة التالية مع نقطة 8، فنفاجأ برُقيّة سيّدة فوق الستين، وقد تتداخل الأحداث، ويكون

الانحراف الزمني بعدها على امتداد خطّ الزمن في الرواية. لكن لو سلّطنا الضوء على حدث النكبة والتهجير في الرواية، نجده يشغل حيّزًا كبيرًا منها، فكانت رُقيّة بمثابة شاهدٍ، يخبرنا كيف دارت الأمور في فلسطين، وكيف سقطت المدن والقرى، ولا سيّما الطنطورة، "سقطت حيفا، وبعدها بأسبوعين استشهد عبد القادر الحسيني.. وفي فجر اليوم التالي هاجموا دير ياسين المجاورة للقسطل، وذبحوا من ذبحوا من أهلها، بعد ثلاثة أيّامٍ سقطت صفد، وثلاثة أيّامٍ أخرى وسقطت يافا"(عاشور 2010، صفحة 38)، وعلى هذا الأساس يظهر الاسترجاع بوصفه الحركة الزمنيّة الأكثر ظهورًا في الرواية، بل يمكن القول إنّ الرواية تنهض على السرد الاستذكاري لأحداث النكبة والتهجير.

- **مقاربة في سيميائيّة الاستباق (Prolepsis)**

يُعدُّ الاستباق تقنيةً أخرى، يتمّ من خلالها تهشيم كرونولوجيّة الزمن، حيث تكون الاستباقات من خلال تنبّؤ الشخصيّة بأحداثٍ تسبق زمن السرد، وهي تحمل القارئ على توقّع حادثٍ ما، أو التكهّن بمستقبل إحدى الشخصيّات، كما أنّها قد تأتي إعلانًا عمّا ستؤول إليه مصائر الشخصيّات (بحراوي 1990، صفحة 132). هو بمثابة استباقٍ زمنيّ تمهيديّ للحدث الآتي في السرد، الذي يتعيّن حسب ترتيب الأحداث الطبيعي لكلّ روايةٍ. ويتخّذ الاستباق في رواية عائد إلى حيفا، صيغة تطلّعات وآمال تتوق إليها الشخصيّة، وهذا يتجلّى في عنوان الرواية الذي جاء بصيغة التطلّع إلى العودة للوطن (حيفا)، فالعنوان بمثابة تمهيدٍ استباقيّ لما يسعى إليه سعيد ويتأمّله. كما يظهر الاستباق من خلال قول سعيد إنّه لا فرار من فكرةٍ كانت في باله طوال عشرين سنة قد وُلدت ولا سبيل إلى دفنها من جديد "، وكأنّه يتوقّع أنّه حتمًا سيعود، فكرة العودة تلك التي طالما شغلت تفكيره، فوردت الإجابة عن هذا الاستباق في قوله: "لنذهب غدًا إلى حيفا، نتفرّج عليها على الأقل، وقد نمرّ قرب بيتنا هناك، أنا أعرف أنّهم سيُصدِرون قريبًا قرارًا يمنع ذلك كلّه، فحساباتهم لم تكن صحيحة" ، وكذلك من المقاطع الاستباقيّة في شكل تلك التوقّعات التي وردت بلسان "ميريام" في حوارها مع "سعيد": "منذ زمن طويل وأنا أتوقّعكما... أنتما أصحاب هذا البيت وأنا أعرف ذلك"، فكانت توقّعات ميريام صائبةً، وأدركت حقًّا أنّهما أصحاب البيت الحقيقيين.

ويعمل الاستباق كذلك في رواية الطنطوريّة على كسر خطّ الزمن، إضافةً إلى دعم عنصر الإثارة والتشويق، فوسط رحلة الاغتراب التي كانت تعيشها رُقيّة في الشتات، ووسط حالة الضياع التي عانى منها الشعب الفلسطيني في مخيّمات اللجوء في بيروت وصيدا وغيرها، التي تمثّلت في نقطة 3 من ترتيب الأحداث، يأخذنا الاستباق ليمثّل مشهدًا مليئًا بالآمال لدى النساء الفلسطينيّات: "لاحقًا سوف أعرف أنّ أغلب نساء المخيّم يحملن مفاتيح دورهن تمامًا كما كانت تفعل أمي، البعض كان يريه لي وهو يحكي عن القرية الذي جاء منها"(عاشور 2010، صفحة 93)، الذي يتمثّل في نقطة 8 من ترتيب الأحداث، فمن وظائف هذا الاستباق، أنّه جاء للتأكيد على بعض السلوكيّات أو الظواهر الجديدة التي طرأت وانتشرت حتّى صارت عادةً عند الناس. هي سلوكيّاتٌ نشأت على أمل العودة، لذا حافظت عليها النساء وتوارثتها، كما فعلت رُقيّة نفسها وحملت في رقبتها مفتاح دارهم في الطنطورة.

آليّات تسريع زمن السرد في الرو ايات:

وذلك عن طريق تقنيتي الخلاصة والحذف، فالخلاصة هي سردٌ موجزٌ يكون فيه زمن النصّ أصغر بكثيرٍ من زمن الحكاية، وهي تقنيةٌ متّصلةٌ بالماضي أكثر من اتّصالها بالحاضر والمستقبل، وقد وظّف كنفاني في عائد إلى حيفا هذه التقنية في استرجاعاته، نذكر بعضها، مثل: الخلاصة التي قدّمها سعيد مختصرًا سنواتٍ طويلةٍ دامت عشرين سنة قضاها في رام الله مغتربًا عن بيته في حيفا، فقام بتلخيص تلك المدّة الطويلة في سطورٍ معدودةٍ، فكأنّه يقول بأنّ الزمن قد توقّف، أو لا وجود له خلال تلك السنوات العشرين، مقارنةً بالمدّة وطول النصّ الذي منحه لمكوثه في حيفا قبل التهجير، والتفاصيل الدقيقة التي ما زال يذكرها من خلال المشاعر والذكريات التي انهالت في رأسه، مع دخوله إلى حيفا عام 1967م، والغاية من هذه الخلاصة هي إعداد القارئ لما سيستقبل من أحداث في الرواية، ففيها تختصر معاناة صفيّة وسعيد طيلة عشرين سنة.

أمّا في رواية الطنطوريّة فقد تعمّدت الراوية إلى تسريع حركة الزمن من خلال اختصار بعض الفترات الزمنيّة الطويلة نسبيًّا، وعرضها في مساحةٍ نصّيّةٍ صغيرةٍ، أقلّ بكثيرٍ من مدّتها الزمنيّة في الواقع. ويتمثّل ذلك في الرواية عندما تقوم رُقيّة في عدّة أسطرٍ بتلخيص حكايتها، هي تلخّص قصّتها في مسارٍ سرديّ واحدٍ، يرتبط قديمه بحديثه، كما وتلجأ الكاتبة إلى تقنية التلخيص أثناء رحلة اللجوء والتشرذم، بعد أن ساقوهم في شاحنتيْن تحت تهديد السلاح.

- **مقاربة في سيميائيّة الفضاء المكاني وتجليّاته**

يُعدُّ المكان عنصرًا هامًّا، وأحد المكوّنات الأساسيّة للسرد، إذ يشكّل في بعض الأحيان الهدف الأساسي لوجود الرواية، فهو الخلفيّة التي تقع فيها أحداث الرواية، والمجال الذي تسير فيه الأحداث من تحوّلاتٍ على مستوى الشخصيّات من أفعال وأقوال (قاسم 2004، صفحة 74). والرواية الفلسطينيّة خاصّةً، ترتبط ارتباطًا وثيقًا وحيويًّا بالمكان، وتكمن أهمّيّة المكان فيها، كونه مرتبطًا بالذاكرة. يُسهِمُ المكان في بنية العمل الروائي، وهو أنواعٌ: فمنها الواقعي ومنها المتخيّل، ومنها المُعَدُّ للإقامة ومنها المُعَدُّ للانتقال، ومنها المفتوح ومنها المغلق،

وهي أشكالٌ من الواقع انتقلت إلى الرواية، وصارت عنصرًا من عناصرها. ولهذا تناول البحث الأمكنة سيميائيًّا، ليقف من خلال المنهج السيميائي على حقيقة الأماكن وتجلّياتها المكوّنة لكلّ عملٍ سرديّ، وعلى مجموعة العلامات والدلالات التي تمثّلها، من حيث المكان المفتوح الواقعي، ثمّ المكان المتخيّل والمغلق، وهذا ما سنقاربه في الروايتيْن:

مقاربة في سيميائيّة المكان المفتوح:

إنّ المكان الروائي هو الفضاء الذي تجري فيه الأحداث، والأرضيّة التي تتحرّك من خلالها الشخصيّات، أو تُقيم فيها، وبذلك تقوم علاقةٌ متبادَلةٌ بينها وبين المكان، فيكتسب المكان خصائصه وميزاته ودلالاته المختلفة داخل العمل الروائي. كما ويتّضح في كثيرٍ من الروايات أنّ الأماكن المفتوحة تتّسم بالواقعيّة، ويشير هامون: "إنّ هذه الأسماء التاريخيّة والجغرافيّة، تدخل ضمن نسق العلاقات الداخليّة التي يقوم العمل الأدبي ببنائها"(هامون 2013، صفحة41؛ Pappe 2011, p.86). فالمكان المفتوح بدايةً هو حيّزٌ مكانيٌّ خارجيٌّ لا تحدّه حدودٌ ضيّقةٌ، كما أنّ له دلالاتٍ عديدةً، هو مكانٌ عامٌّ وليس خاصًّا، وعنصرًا حكائيًّا له دلالته الواقعيّة والرمزيّة التي ينهض بها داخل النصّ، فهو يدلّ على العموميّة والشموليّة أكثر من الخصوصيّة. وبعد تتبّع الفضاء المكاني في الروايات، يلاحظ أنّ كنفاني قد سعى إلى كتابة الرواية الواقعيّة، ونلاحظ أنّ الأماكن المفتوحة قد تعدّدت فيها، وبعد التمعّن بهذه الأماكن وجدناها تتّصف بأماكن الذاكرة، وهي أماكن تخزين ذكريات الشخصيّات، التي تحمل رصيدًا تاريخيًّا دام سنوات وعقود، وبهذا فقد تجلّى المكان الواقعي في الرواية، من خلال مكان الذاكرة، ويُعدُّ مكان الذاكرة (نوستالجيا) مكانًا تستحضره الشخصيّة الروائية بواسطة الذاكرة، فهناك صلةٌ وثيقةٌ بين المكان والذاكرة.

مقاربة في سيميائيّة "الأرض والوطن"

لقد تجلّى المكان في رواية عائد إلى حيفا، الذي يمثّل أرض الوطن في (مدينة حيفا)، وهو مكان الماقبل، ومكان تخزين الذكريات، فقد كان له الأثر الكبير في شخصيّات الرواية (سعيد وصفيّة) قبل التهجير وأثناء العودة، فالوصول إلى حيفا عام 1967م جعل ذاكرة المكان لدى شخصيّة سعيد تعمل على شكل لحظاتٍ استرجاعيّةٍ: "لم تعد إليه الذاكرة شيئًا فشيئًا، بل انهالت في داخل رأسه، كما يتساقط جدار من الحجارة" (كنفاني 2015، صفحة 9)، وذلك يتجلّى أيضًا في الملفوظات التالية: "وأخذت الأسماء تنهال في رأسه كما لو أنها تنفض عنها طبقة كثيفة من الغبار: وادي النسناس، شارع الملك فيصل، ساحة الحناطير، الحليصة، الهادار" (كنفاني 2015، صفحة 13)، خاصّةً أنّ ذاكرة الشخصيّة تحمل رصيدًا تاريخيًّا دام عشرين سنة. ولكن مع ذلك، بدت له حيفا مكانًا غريبًا، بأجوائها وأسماء شوارعها الجديدة. لقد جسّد كنفاني حيفا تجسيدا إنسانيًّا، "إنني أعرفها، حيفا هذه، ولكنها تنكرني"(كنفاني 2015، صفحة 13)، فقد تمثّلت مدينة حيفا في صورتين مختلفتين، تقومان على ثنائيّة الماضي والحاضر: صورةٍ للمدينة القديمة والمألوفة، وصورةٍ راهنةٍ لواقعٍ غريبٍ موحشٍ. ومن هنا يلعب المكان في الرواية الفلسطينيّة دورًا رئيسًا في التعبير عن حالة الاغتراب من جهة، والحنين للعودة من جهة أخرى.

أمّا المكان الذي كان يمثّل الوطن في رواية الطنطوريّة، فقد تجلّى تجلّيًا واسعً وكبيرًا، ولم يقتصر على مكانٍ واحدٍ، كما في الرواية السابقة، بل شغل مساحاتٍ واسعةً أكثر، وكان حاضرًا بقوّة في وجدان الشخصيّات. وقد تمثّل الوطن في الرواية، بكافّة القرى والمدن المهجرة عمومًا، مثل: حيفا، عكّا، صفّورية، عين الغزال، مجد الكروم، الصفصاف، اجزم، البروة، قيسارية، الشجرة والمطلّة وغيرها.. أمّا قرية الطنطوريّة على وجه التحديد فقد مثّلت الوطن بالنسبة لشخصيّة البطل "رُقيّة" وباقي الشخصيّات الثانويّة، فتكشف لنا الرواية كيف كان أبو الأمين يتسلّل إليها: "يقول عدْتُ إلى الطنطورة، هنا تبتدئ الحكاية وهنا أيضًا تنتهي، لم ينقل عمّي شيئًا ممّا رآه في قريتنا عندما تسلّل بعد شهريْن"(عاشور 2010، صفحة 87)، فقد عاش ينتظر العودة إلى الوطن، وذلك تجلّى أيضًا في مفاتيح البيوت التي حملتها النساء في رقابها، ولا تخلعها أبدًا. ونلاحظ أنّ الكاتبة ركّزت اهتمامها على تحوّلات المكان الواقعي جغرافيًّا، حيث كانت تحوّلات المكان نتيجة طرد أهله ليتحوّلوا إلى لاجئين في المخيّمات. فقد وصفت الكاتبة واقع المخيّمات الكئيب، لتكتشف تحوّلات الشتات الفلسطيني في الخارج، لننتقل من صيدا إلى عمان وبيروت، ومن قبرص، إلى أبو ظبي وكندا وغيرها.. فإذا كان جيل رُقيّة قد وُلد في فلسطين، فإنّ جيل أبنائها قد وُلد في لبنان، أمّا الأحفاد فقد وُلد بعضهم في أبو ظبي، والبعض الآخر في كندا، أمّا الحفيدة "رُقيّة" التي تغلق بها الرواية دائرة الأجيال، فقد وُلدت في اللد، في فلسطين. وفي هذا فعلٌ رمزيٌّ لبعث الأمل، ترمي الراوية فيه إلى حتميّة عودة الفلسطينيين من جديدٍ إلى أرضهم.

ولا شكّ أنّ دلالة المكان تحدّد حسب مشاعر الشخصيّة التي تتفاعل فيه، فإذا سلّطنا الضوء على قرية الطنطورة، رغم كونها مكانًا مفتوحًا للإقامة، إلّا أنّها بالنسبة لزينب أم الصادق، كانت مكانًا مغلقًا، فهي لم تغادر قريتها يومًا، ولا تملك حرّيّة الحركة خارجها، حتّى يأتي اليوم الذي تفقد فيه هذا الأمان، فتنطلق اضطرارًا من بلدٍ إلى آخر، من قريةٍ هنا إلى مدينةٍ هناك، سواء داخل فلسطين وخارجها. فسيميائيّة هذا الانتقال قد تكون نقطة تحوّلٍ في حياة أم رُقيّة، حيث أنّ المدينة هي فضاءٌ مفتوح الحدود ومختلفٌ بعاداته

وتقاليده. كذلك فقد تجلّى المكان من خلال ذاكرة نساء مخيّم شاتيلا، فكلّ واحدةٍ تستذكر الوطن، الذي يتمثّل في باحة بيتها والشجرة المزروعة فيه: "غريب، كلّ امرأةٍ شجرةٌ، أقصد كلّ امرأةٍ ولها شجرةٌ، هناك ليمونة أم سمير، برتقالة أم إلياس، خرّوبة أم هنية، لوزة أم العبد، نخلة أم الناهض، توتة أم محمد" (عاشور 2010، صفحة 149)، لأنّ هذه الأشجار تخبّئ وراءها الحنين لذلك المكان المتواري وراء كلّ شجرةٍ وكلّ ثمرةٍ وكلّ مذاقٍ، فتحمل الشجرة في مختلف الثقافات دلالَتَي التغذية والحماية، وهما دلالتان ترتبطان بصورة الأم، كما وكنّ يحملنَ مفاتيح دورهنّ حتّى يذوب الحبل فتبدّله بحبلٍ جديدٍ.

تجليّات المخيم:

أما عن تجليات المخيم نلاحظ أنّ تجلّيات (المخيّم) تتفاوت في الروايتيْن، من حيث الظهور والتفصيل في ظروفها المعيشيّة وأوضاع اللاجئين فيها، فنلاحظ أنّ المخيّم عند كنفاني لم يأخذ حيّزًا كبيرًا، وكان محدودًا من حيث التفصيل بحياة المخيّمات، مقارنةً برواية عاشور ما بعد أوسلو، التي نجد فيها حضورًا أكثر لحياة اللاجئين، وتفصيلًا لأوضاع المخيّم المزرية. فقد حاز المخيّم على مساحةٍ واسعةٍ من البنية السرديّة في رواية الطنطوريّة، كما ويتّضح أيضًا، أنّ صورة المخيّم قد تغيّرت منذ بداية نشأته إلى ما هي عليه اليوم، فقد كانت بدايته خِيامًا صغيرةً تطير من مكانها إن اشتدّت العواصف، وتغرق بالوحل عندما يهطل المطر، حتّى تحوّلت هذه الخيام لاحقًا إلى سقوف من الزينكو ثمّ إلى مبانٍ، وفي ذلك إشارةٌ إلى زوال فكرة كونها مؤقّتة.

- **مقاربة في سيميائيّة الشخصيّة وتجلّياتها**

تُعَدُّ الشخصيّات (Personality) من أبرز العناصر في الرواية، فهي التي تمثّل مركز العمل الروائي، وتؤثّر في البنية السرديّة، كونها العنصر الفعّال الذي ينجز الأحداث ويحرّكها، إمّا بالسلب أو الإيجاب. هي من نسج خيال الأديب، يبثّ فيها الحياة ويصوّرها تصويرًا فنّيًّا دقيقًا، وهي تجسّد فكرته وتعبّر عن مشاعره وعن تجربته في الحياة. لقد اكتسبت الشخصيّة في الرواية مفاهيم متعدّدةً، فهي مُجمَلُ السِّمات والملامح التي تشكّل الواقع الذي تعيش فيه.

وبنظرةٍ عامّةٍ على شخصيّات الرواية الفلسطينيّة، نجد أنّ لها خصوصيّتها في تمثيل الواقع الفلسطيني، الذي اكتسبته من وحي واقع المعاناة والتشرّد والتهجير والنضال والثورة، التي عاش في كنفها الإنسان الفلسطيني، فانعكس ذلك كلّه على فكره وسلوكه، بل على نظرته تُجاه واقعه الراهن، وتطلّعاته الحياتيّة المستقبليّة. لقد نمت الشخصيّة الفلسطينيّة ونشأت في واقعٍ عانى التهجير والاغتراب، وهذا ما عكسته روايات مرحلة النكبة عام 1948م وما بعدها. لقد كانت الشخصيّات صورةً صادقةً عن تلك المرحلة، عكست ملامح المعاناة والتأزّم، وقد ارتبطت الأعمال السرديّة لغسان كنفاني بهذا الواقع الاجتماعيّ ارتباطًا كبيرًا، وكانت الأوضاع الاجتماعيّة والسياسيّة التي سادت المجتمع الفلسطيني منذ عام 1948 وصولًا إلى عام 1967، قد تركت بصمتها بشكلٍ جليّ في أعماله عامّةً، فمعظم شخصيّاته واقعيّة، تمثّل أناسًا قابلهم وتحدّث عنهم وعاش بينهم، وأناسًا قرأ عنهم فاستولوا على خياله الواسع، وأصبح يكتب عنهم في رواياته، والتي نجدها بالغالب تقوم على ثنائيّة الحضور والغياب.

أمّا في رواية عائد إلى حيفا، التي جاءت بعد هزيمة 67، فقد كانت بمثابة الحدّ الفاصل بين مرحلتين في حياة الرواية، وقد تُغَيّبُ فيها البطولة أيضًا، ولا حضور لشخصيّة البطل، لكنّه الغياب الذي لا يعني انتفاءها كليًّا، بل بدأت البطولة فيها تشهد تجلّيها. فهي تشكّل انعطافةً تاريخيّةً جديدةً في حياة الفلسطيني، التي شهدت بداية فكرة المقاومة الفلسطينيّة، فرغم أنّ سعيد لم يظهر فيها بطلًا، إلّا أنّه صار يأمل ببطولة خالد ابنه، وذلك بانضمامه إلى المقاومة. أمّا روايات ما بعد أوسلو، فنلاحظ تغيّرًا جذريًّا في أحداث الروايات وأبطالها، فلم يعد البطل ضحيّةً أو مناضلًا في المقاومة، فمن العمل الجماعي الذي دعا إليه كنفاني وضرورة التلاحم مع القضيّة الوطنيّة وأهمّيّة دور المقاومة فيها، تشهد الشخصيّة الروائيّة ما بعد أوسلو تحوّلًا، غيّرَ موازين الوجود الفلسطيني، فالبطل كان غائبًا، وبات الانتصار فيها انتصارًا للمصالح الذاتيّة على حساب الشعب ومعاناته، وتغاضي ما حلّ به من تشريدٍ وفقرٍ وتشرذمٍ في الشتات. فمع أوسلو تغيّرت الشخصيّة بما يتناسب مع الواقع الجديد، إذ يلاحظ الاختلاف في طبيعة البطل قبل أسلو وبعدها، حيث بدأت تتجلّى شخصيّة البطل العادي، الذي لا ينشغل إلّا بنفسه ومصالحه الشخصيّة، ولا يكترث إلّا لخلاص نفسه من مأزقها. فقد استطاعت أوسلو أن تُنتِجَ بطلًا عاديًّا متشبّثًا بمنفعة ذاته أكثر من منفعة وطنه، ويبحث عن خلاصه الذاتي. فقد وظّفت رضوى عاشور في رواية الطنطوريّة 2010م، في البناء السردي للرواية شخصيّاتٍ عديدةً، منها التاريخيّة، ومنها والمعاصرة الواقعيّة أو المتخيّلة، التي تتفاعل فيما بينها، في حدود الزمان والمكان، وبحضور اللغة السرديّة والحواريّة، لتشكّل المشهد الدرامي. ذلك المشهد الذي ينجم عن حركة الشخوص التي تعدّدت أدوارها وتباينت أبعادها، فالروائية تسلّط الضوء في بنيتها السرديّة على أُسَرٍ تنتمي إلى قرية الطنطورة، التي تمثّل قصّة شعبٍ بأكمله على امتداد سنوات الشتات/ فقد تناولت رواية الطنطوريّة الكثير من القضايا التاريخيّة المتعلّقة بفلسطين، منذ ثلاثينيّات القرن الماضي

حتّى تحرير جنوب لبنان، كما وبيّنت تفاعل الشعب الفلسطيني مع هذه القضايا. كما ونلاحظ أنّ الرواية تزخر بأسماء الشخصيّات الحقيقيّة والتاريخيّة، التي تضيف لها الطابع الواقعي والتاريخي وكذلك الأدبي والاجتماعي.

حضور "البطل المقاوم" في الذاكرة:

رغم غياب شخصيّة البطل التقليدي والفعلي في الروايات، إلّا أنّنا نجد أنّ صورة البطل لم تكن غائبةً غيابًا قطعيًّا، بل كان هناك حضورٌ متكرّرٌ لشخصيّة (البطل المقاوم) في معظم الروايات، ففي رواية عائد إلى حيفا التي غاب فيها البطل بين الشخصيّات المحوريّة، إلّا أنّه لم يكن غائبًا عن البنية السرديّة، فصورة (البطل المقاوم) كانت حاضرةً في ذاكرة الشخصيّات، وقد تجلّت في ذاكرة سعيد، الذي تمثّل في شخصيّة بدر اللبدة، وهو (البطل المقاوم) الذي كان أوّل من حمل السلاح في منطقة العجمي عام 1947م، واستشهد بعد ذلك بعدّة شهور، فظلّت صورته معلّقةً على حائط بيته بعد رحيل أهله، فجاء أخوه فارس اللبدة لاستعادتها، حتّى يقرّر أن يتركها على الحائط، لأنّه اكتشف أنّها الجسر: "الصورة لا تحلّ مشكلتكم، ولكنّها بالنسبة لنا جسركم إلينا، وجسرنا إليكم" (كنفاني 2006، صفحة57)، هي الجسر الذي يربط بين الماضي والحاضر، بين الفلسطيني الذي ظلّ على أرضه، والآخر في منفاه، فعاد بدون الصورة: "ولكنّه يحمل السلاح الآن"(كنفاني 2006، صفحة57)، فهو البطل الغائب الذي يربط جسرًا بين الماضي والمستقبل.

أمّا رواية الطنطوريّة فهي في سرديّتها تشكّل توثيقًا واسعًا لمشاهد التهجير واللجوء الفلسطيني، ففكرتها الأساسيّة تقوم على رصد المأساة والتغريبة الفلسطينيّة، وسرد ذاكرة التهجير واللجوء وظروف اللاجئين في الشتات، من خلال توثيق شهادات الفلسطينيين. فهي تقدّم من خلال ذاكرة رُقيّة حضور (الشعب المقاوم) وصموده على امتداد فتراتٍ وسنين عديدةٍ، في داخل البلاد وخارجها. فالذاكرة رصدت العديد من المشاهد والمآسي، والكثير من الأحداث والمواقف البطوليّة، التي تجلّت منذ أحداث النكبة عام 1948م في القرى والمدن الفلسطينيّة، ثمّ في الشتات.

حضور نموذج "الشخصيّة السلبيّة" وتجلّياتها:

تتعدّد في الروايات الملامح والتصوّرات المختلفة للشخصيّة الفلسطينيّة، وأبرزها تلك الشخصيّات المتهالكة والمسحوقة، التي عانت ظروف النكبة وتفاعلت معها، وكانت مدركةً لما يدور حولها في الواقع ومتعاونةً معه، وتظهر تلاحمها مع أبناء شعبها. إلّا أنّنا نجد في الروايات أيضًا حضورًا للشخصيّات السلبيّة، وهو نموذج الشخصيّة التي تتّصف بسلوكها السلبي، وعدم مراعاتها لغيرها، وعدم اكتراثها بالواقع العام، إضافةً إلى التأثيرات السلبيّة التي تتركها في الشخصيّات وفي الأحداث عامّةً. ظهرت تلك الشخصيّات في صورٍ عديدةٍ، منها: صورة الخائن لوطنه، أو صورة الانتهازي والعميل، هي شخصيّاتٌ ربّما رافقت الشخصيّة الرئيسيّة في الروايات، وتلعب دورًا هامًّا في البناء السردي، فقد ظهرت كشخصيّاتٍ متهاونةٍ بالقضيّة، وقد توصَمُ أحيانًا بالخيانة، ويُعَدُّ حضورها أساسيٌّ لأنّها تكمل جزءًا من الواقع الفلسطيني.

في رواية عائد إلى حيفا 1969م، فقد قدّم كنفاني (الشخصيّة السلبيّة) المدانة، التي تمثّلت في شخصيّة سعيد الأب، بعد أن تمّ ترحيله من حيفا بالقوّة، وقد ترك طفله الرضيع خلدون هناك، فهو مدانٌ لأنّه لم يتّخذ موقفًا حاسمًا خلال عشرين سنة بخصوص مصير ابنه خلدون، ولم يعمل على محاولة العودة إلى بيته في حيفا لاسترجاعه، بل خضع واستسلم حتّى مضت عشرون سنةً ولم يحرّك ساكنًا، فكان مدانًا بهذا بالتخاذل واللامواجهة أمام قضيّته، القضيّة الفلسطينيّة. كما وأُدين سعيد في نظرته إلى حيفا التي تمثّل الوطن، بعين الماضي الذي كان، بالذكريات والحنين، ثمّ منعه لابنه خالد من الالتحاق بالمقاومة، فقد وضع كنفاني شخصيّة سعيد في صراعٍ كبيرٍ، يرمي به إلى إدانة الموقف العربي وتهاونه بالقضيّة الفلسطينيّة، ولكنّنا نجدُ أنّ شخصيّة سعيد قد اتّسعت ونَمَت بعد حواره مع دوف، لترى القضيّة بمنظور الهزيمة والانكسار. أمّا شخصيّة دوف، فقد تجلّت فيها شخصيّةٌ سلبيّةٌ أخرى، حين بدّدت كل آمال العودة التي تعلّق بها سعيد وصفيّة مدّة عشرين سنة، فكانت شخصيّة سعيد في موقف المواجهة مع ابنه دوف، الذي تربى ونشأ عند ميريام وافرات كوشن، فتحوّل بهذا من طفلٍ عربيٍّ مسلمٍ إلى ضابطٍ احتياطيٍّ في الجيش الإسرائيلي. كان دوف ضحيّة ظروف التهجير، وتَركُ والديه له في صغره، فقد نشأ على قناعاتٍ جعلته يرفض العودة لوالديه، مستهترًا ومؤنّبًا لدور الأمومة والأبوّة، وذلك من خلال قوله: "بعد أن عرفت أنّكما عربيّان، كنت أتساءل بيني وبين نفسي، كيف يستطيع الأب والأم أن يتركا ابنهما وهو في شهره الخامس، ويهربان؟ وكيف يستطيع مَن هو ليس أمه وأباه أن يحتضناه ويربّياه عشرين سنة"؟ (كنفاني 2006، صفحة67)، وهكذا كان خلدون ضحيّةً لعوامل عديدةٍ، حوّلته إلى إنسانٍ سلبيٍّ، ويرمز بذلك لجيلٍ غفل قضيّته واستسلم.

أمّا ما بعد أوسلو، فقد أظهر النصّ الروائي التباينات السياسيّة واختلافاتها، التي أثّرت في الواقع تأثيرًا واضحًا، وعكست الإنسان الفلسطيني بكافّة تصوّراته الإيجابيّة والسلبيّة، وإذا وقفنا عند رواية الطنطوريّة 2010م، وجدناها مليئة بمشاهد الاضطهاد والتنكيل الذي تعرّض له الفلسطينيّون، خلال أحداث النكبة والتهجير داخل الوطن، ثمّ ما تعرّض له اللاجئون في الشتات خارج الوطن، ليتجلّى بذلك (نموذجٌ سلبيٌّ) آخر. فقد فرّ الفلسطينيّون من الاضطهاد باحثين عن أمانهم وعن سلامتهم في البلدان المجاورة، إلّا أنّهم تعرّضوا

للاضطهاد في الشتات أيضًا، إذ كان اللبنانيّون يحمّلونهم المسؤولية في سبب احتلال إسرائيل لهم، ويتوجّهون إليهم بالشتائم. وفي موضعٍ آخر يقول عبد ابن رُقيّة: "زميلك في الصف ينقلب عليك فجأة فلا تعرف ما الذي أغضبه، لتكتشف بعد يوم أو يومين أنّه عرف إنّك فلسطيني وأنّ وجودك، مجرّد أنّك موجود، وأنّك أنت لا غيرك أمر مستفزّ يثير الغضب أو الاستياء أو على أقلّ تقدير، القرف. كأنّك حشرة سقطت لسوء حظّه، في صحن الحساء، فتعرف قبل أن تعرف بزمان، معنى الكتائب ومعنى القوّات، وما الذي ينتظرك على أيديهم" (عاشور 2010، صفحة 77). وقد أكّدت الرواية ما واجهه الفلسطينيّون فعليًّا من الكتائب، فقد تعرّض جيل الأبناء للاضطهاد، وكان اللاجئ غير مرحّبٍ بوجوده، يتعرّض للشتم في المدرسة والشارع، وأحيانًا وصل الأمر إلى القتل، كما حدث في مجزرة صبرا وشاتيلا، وقد شاركنا عزّ بما يتعرّض له الفلسطينيّون في صيدا: "الخطف والقتل، والجثث المشوّهة التي يجدونها بالقرب من عين الحلوة... ويلقون منشوراتٍ تطالب الأهالي بطرد الغرباء الإرهابيين الذين قهروا لبنان وتسبّبوا في خرابه، لم نسمح بوجود الفلسطينيّين على أرض لبنان، يسمّوننا في المنشورات قتلةً وجراثيم وقمامة" (عاشور 2010، صفحة 260). وهناك (نموذجٌ سلبيٌّ) آخر ظهر في الرواية، وقد أسمته عاشور بكيسٍ من الخيش: "رأيت رجلًا يقف بجوار عسكر اليهود ورأسه مغطّى بكيسٍ من الخيش به ثقبان يسمحان لعينيه بالرؤية" (عاشور 2010، صفحة61)، "أنتم السبب، لولا الفلسطينيّة لما خربت بيتنا إسرائيل" (عاشور 2010، صفحة 216)، فهذه بعض النماذج السلبيّة التي تعرّض لها الفلسطينيّون في داخل البلاد وخارجها.

حضور نموذج "الجيل الجديد" وتجلّياته:

تُعَدُّ الرواية الفلسطينيّة صورةً عن الواقع بجميع شرائحه، فهي تلخّص مأساة شعبٍ استمرّت لأجيالٍ متتابعةٍ، وإن كان من الممكن حصرها في أجيالٍ ثلاثةٍ، جيل الآباء الذي شهد الموجات الأولى من النكبة، وعانى صدمة التهجير واستلاب الأرض، وجيل الأبناء الذي واجه رحلة الاغتراب في الشتات، أمّا الجيل الجديد فهو جيل الأحفاد، الذي كما يرى القلقيلي وأبو غوش أنّ ما يؤخذ على الجيل الجديد هو فقر ثقافته الوطنيّة، وضعف انتمائه، أو قابليّته المفرطة للاغتراب بمعناه الواسع" (القلقيلي وأبو غوش 2012، صفحة7)، والجيل الجديد هو محور حديثنا في هذا المبحث، الذي سيرصد دور هذا الجيل في روايات البحث، ويقاربها سيميائيًّا في الوقوف عند دلالتها مع كلّ روايةٍ.

لقد برزت في رواياتي البحث شخصيّاتٍ تمثّل (جيلًا جديدًا) نشأ في الشتات، وعانى أزمة الهويّة وعنصريّة اللجوء سواء داخل الوطن أو خارجه. وقد نلاحظ في رواية عائد إلى حيفا، أنّ نموذج (الجيل الجديد) قد تجلّى في شخصيّة خالد، الابن الثاني لسعيد وصفيّة، وهو يعكس الوعي الفكري الجديد الذي كان ينظر إلى القضيّة الفلسطينيّة عامّةً، وقضيّة العودة خاصّةً على أساس الثورة والمقاومة، وليس مجرّد استرداد صورٍ وذكرياتٍ وحنينٍ لبيتٍ من الماضي، وذلك يتمثّل من خلال الملفوظات التالية: "لقد أخطأنا حين اعتبرنا أنّ الوطن هو الماضي فقط، أمّا خالد فالوطن عنده هو المستقبل، وهكذا كان الافتراق، وهكذا أراد خالد أن يحمل السلاح...عشرات الألوف مثل خالد لا تستوقفهم الدموع.. إنّما هم ينظرون للمستقبل، لذلك هم يصحّحون أخطاءنا" (كنفاني 2006، صفحة 74)، هي الأوهام التي تشبّث بها سعيد مدّة عشرين سنة، مستندًا على رابطة الدم وحدها، لتثبت خيبتها وفشلها، فيكتشف: "لقد عرف خالد ذلك قبلنا.. أرجو أن يكون خالد قد ذهب"(كنفاني 2006، صفحة 76).

أمّا في رواية الطنطوريّة فقد تمثّل نموذج (الجيل الجديد) في شخصيّة عبد، وهو أصغر أبناء أمين ورُقيّة، الذي أثبت تعلّقه بفلسطين، رغم أنّه لم يولد فيها، فكان مدافعًا عنها متعلّقًا بها، مع أنّه في صغره، كان يتذمّر ويشكو لأمه: "تريدين الحق أم ابن عمّه؟ في طفولتنا كرهنا المخيّم وكرهنا فلسطين، وكرهنا أنّك أمّنا" (عاشور 2010، صفحة 76)، وهو يمثّل (الجيل الجديد) "فيتحوّل فجأةً إلى شخصٍ صاحب انتماءٍ كبيرٍ: تلميذ جزء من الوقت، وكادر في المخيّم له مسؤوليّاته جزء من الوقت الآخر"(عاشور 2010، صفحة 175)، وبهذا فقد مثّل عبد دور المقاومة، فقد حمل السلاح بدايةً ثمّ عدل عن ذلك، حتّى بدأ يدرس الهندسة المعماريّة، وانتقل بعدها لدراسة الحقوق، وقد أصبح محاميًّا، يسعى إلى الدفاع عن الحقوق الضائعة، فحاول العمل على استرجاع حقّ أهل الطنطورة الذين تمّ اغتيالهم وتشريدهم عن أرضهم، ففكّر برفع قضايا أمام المحاكم الدوليّة، في الدول التي تسمح بمثل هذه المحاكمات كدولة بلجيكا.

حضور شخصية المرأة وتجلياتها:

لقد شغلت المرأة الفلسطينيّة حيّزًا بارزًا وملموسًا في إطار قضايا المجتمع بشكلٍ عامٍ والقضيّة الفلسطينيّة بشكلٍ خاصٍ، وكان لها دورٌ كبيرٌ وحيويٌّ على مختلفِ الجوانب والمجالات، وقد لفتت انتباه الروائي الفلسطيني، فكان مدركًا لمسيرتها وموظّفًا لها دلالات عديدة في الرواية الفلسطينيّة، بوصفها قوّة فاعلة شاركت في مسيرة الكفاح والنضال وأثّرت فيها، إضافةً إلى الدلالات والمعاني الثريّة الموحية بها. فعند الوقوف على صورة المرأة في روايات البحث، نجد أنّ المرأة الفلسطينيّة سواء داخل الوطن أو خارجه، قد تميّزت بخصوصيّةٍ معيّنةٍ تبعًا لحركة الواقع الفلسطيني، والتحوّلات الطارئة على مسار القضيّة في اللحظة الراهنة. وقد عرض كنفاني صورًا ودلالات متعدّدةً للمرأة، بما يتناسب مع تلك التحوّلات. ففي رواية عائد إلى حيفا، وظّف كنفاني الشخصيّةٌ التقليديّةٌ، في شخصيّة صفيّة، والتي

تبدو ضعيفةً ونمطيّةً، بسيطةً وعفويّةً في تفكيرها، تؤمن بالمسلّمات، وغير متطوّرةٍ من بداية الرواية إلى نهايتها. بدت امرأةً ضعيفةً مرهفَة الإحساس، كانت تبكي كثيرًا، وتشعر بألم الحسرة والندم، تحمل في قلبها حرقةً وأسى منذ أن تركت طفلها الصغير وحيدًا، فظلّت تُحمّل نفسها المسؤوليّة طوال عشرين سنة، ويظهر ذلك في حديثها مع زوجها: "كما كانت تشعر دائمًا، هي التي ارتكبت تلك الفجيعة.." (كنفاني 2006، صفحة 24). عاشت صفيّة سنين طويلة محتارةً وتحسّ بالذنب، وكانت دائمًا تظهر بصورة المرأة الحزينة البائسة، التي تمسح دموعها بمنديلها الأبيض، وفي بياضه دلالةٌ على الصفاء والنقاء (عبيد 2013، صفحة61)، بدت صفيّة بصورة المرأة المستسلمة لظروفها، فهي إنسانةٌ بسيطةٌ وغير مثقّفةٍ، تبدو قدريّةً إلى أبعد الحدود، وقد بنت حياتها على فكرةٍ واحدةٍ وثابتةٍ، وهي أنّ خلدون "دوف" ابنها وسينتظرها مهما حدث: " واثقةٌ أنّ خلدون سيختار والديه الحقيقيّين.. لا يمكن أن يتنكّر لنداء الدم واللحم"(كنفاني 2006، صفحة 48).

ولا شكّ أنّ منعطف ما بعد أوسلو قد ترك أثرًا على صورة المرأة وتوظيفها في الرواية، فقد وظّفت عاشور (صورة المرأة) في شخصيّة رُقيّة، فكانت الشخصيّة المحوريّة في الرواية، فهي شخصيّةٌ متخيّلة من تأليف الكاتبة؛ وقد مثّلت شخصيّة رُقيّة نموذجًا للمرأة الفلسطينيّة الصابرة، التي عانت صراعاتٍ داخليّةً عديدةً، إلّا أنّها تجاوزتها كلّها صامدةً بكلّ قوةٍ وثباتٍ. كانت رُقيّة شخصيّةً مناضلةً، رغم الأزمات التي مرّت بها، هي ترى نفسها كالنحلة في نشاطاتها داخل البيت وخارجه: "النحلة تشبيه جيد.. نعم صرت نحلة، أعدّ الطبخة، أعدّ الفطور، يستيقظ أمين والأولاد، أفطرهم، يذهبون إلى أشغالهم...أرتب البيت ثمّ أنزل إلى شاتيلا، لا أعود إلى البيت إلّا بعد العصر، لكلّ يومٍ جدوله، دروس محو الأمّيّة للكبار، دروس التقوية لأطفال المرحلة الابتدائيّة، طباعة بيانات على الآلة الكاتبة عندما يقصدني الشباب لطباعة البيانات"(عاشور 2010، صفحة 145)، كانت تمثّل المرأة الفلسطينيّة الأصيلة التي تحافظ على الهويّة الفلسطينيّة، وتحاول أن تكون سندًا لمن حولها من الفلسطينيّين. تواجه رُقيّة صعوبةً في الكتابة، إلّا أنّ إصرارها يدعوها إلى تثقيف نفسها وتطويرها، حتّى أنّها صارت تذهب إلى المخيّم وتعلّم النسوة القراءة والكتابة، وتستمع إلى حكاياتهن حول البلاد وأهلها، كما وبيّنت الرواية مشاركة نساء المخيّم وفتياته في التنظيمات السياسيّة، وعملهن جنبًا إلى جنب مع الرجال (عاشور 2010، صفحة147،242).

ومن الشخصيّات الأنثويّة في الرواية، هي شخصيّة أم الصادق (زينب) أم رُقيّة، هي امرأة امتازت بالبساطة والسذاجة، كانت لا تستطيع الخروج من القرية وحدها، فلا تعرف كيف تركب القطار وتنزل منه، فتقول: "ومن يدريني كيف أركب القطار، وكيف أنزل منه، وكيف أذهب إلى المحطّة إلى دارها؟"(عاشور 2010، صفحة 15)، هي امرأةٌ تقليديّةٌ، كان اهتماكها فقط في أعمال البيت وتجهيز الطعام لعائلتها، ولا تشارك في الأمور السياسيّة، في حين كان الرجال يطيلون السهر إلى ساعاتٍ متأخّرةٍ من الليل بلقاءاتٍ واجتماعاتٍ يناقشون فيها كيفيّة مواجهة ما يجري من قرار التقسيم وغيره من أحداث البلاد. أمّا مريم فقد امتازت بشخصيّتها القويّة والجريئة، فتاةٌ واعيةٌ، صوتها جميل، تعلّقت بالقضيّة الفلسطينيّة، اهتمّت بناجي العلي، انتقلت مع والدتها رُقيّة إلى أبو ظبي، والإسكندريّة، ثمّ إلى باريس لدراسة الطبّ، كما وكان لها حضورًا سياسيًّا واضحًا في الرواية.

- **مقاربة في سيميائيّة أسلوب السرد**

يُعدُّ السرد بنيةً مهمّةً في الرواية، وهو ينبثق من التفاعل بين عالم النصّ وعالم المتلقّي، ويمثّل حوارًا قائمًا بين الراوي والمروي له، والقصّة باعتبارها محكيًّا تمّر عبر القناة التالية: الراوي – القصّة – المروي له. والسرد هو الكيفيّة التي تروى بها القصّة عن طريق هذه القناة نفسها، وما تخضع له من مؤثّراتٍ، بعضها متعلّق بالراوي، والمروي له، وبعضها الآخر متعلّق بالقصّة ذاتها (لحميداني 1991، صفحة 45). ويتم السرد بتعاقب الحالات والتحوّلات داخل النصّ الروائي، لإنتاج المعنى، والتحليل السردي يهتمّ برصد هذه الحالات والتحوّلات داخل النصّ السردي، ومن أجل تحليل نصٍّ سرديٍّ، لا بدّ من معرفة العناصر التي يتمّ الاعتماد عليها في بنائه، لأنّ القصّة لا تتحدّد فقط بمضمونها، ولكن أيضًا بالشكل أو الطريقة التي يقدّم بها ذلك المضمون.

وقد يكون السرد على مستوى الخطاب الروائي بأشكالٍ عديدةٍ، فإمّا أن يكون سردًا مباشرًا، وفيه يكون المؤلّف هو السارد الأوّل، والعالم بكلّ شيءٍ، فهو من يتولّى عمليّة السرد وحده، ولا يتيح الحوار لأيّ شخصيّةٍ ولا لأيّ سارد، بالتالي يكبح حرّيّات الشخصيّات، ولا يتركها تتحرّك إلّا بإرادة المؤلّف الحقيقي للرواية. ومن جهةٍ أخرى قد يكون السرد غير مباشرٍ، وفيه يتمّ حوار الشخصيّات حول موضوعٍ معيّنٍ، أمّا صوت الكاتب، فلا يظهر إلّا من خلال بعض التعليقات حول ذلك الحوار. إذن، قد نلاحظ من خلال السرد استحواذ الراوي عمليّة السرد وتفرّده بها، أو تعدّد أصوات الرواة، حيث تتمتّع الشخصيّات فيه بحرّيّة التعبير عن مواقفها من العالم، وتتفاعل مع الآخر، وتمثّل صوتًا حرًّا قائمًا بذاته يعبّر عن تيّارٍ معيّنٍ، أو أيديولوجيّةٍ ما. يشير لحميداني: "يكون الأمر في شكله الأكثر بساطة عندما يتناوب الأبطال أنفسهم على رواية الوقائع واحدًا بعد الآخر، ومن الطبيعي أن يختصّ كلّ واحدٍ منهم بسرد قصّته، وهذا ما يُسمّى عادةً بالحكي

داخل الحكي"(لحميداني 1991، صفحة 49). ومن خلال المقاربة السيميائيّة بين الروايات الثمان سوف نتابع عمليّة السرد في المبحث التالي:

بعد تتبّع عمليّة السرد في رواية عائد إلى حيفا 1969م، نجد أنّ كنفاني قد اتّبع أسلوب السرد التقليدي، فقد اختار الكاتب أن يروي الرواية بضمير الغائب في سرده للأحداث: "حين وصل سعيد إلى مشارف حيفا، قادمًا إليها بسيارته"(كنفاني 2006، صفحة 9)، كما ونلاحظ أنّه الراوي العالِم، فهو مصدر السرد في الرواية، دون أن يشارك بها، الذي يمتلك القدرة في الوقوف على الأبعاد الداخليّة والخارجيّة للأشخاص، ويكشف عن العوالم السرّيّة لها: "أحيانًا يقول لنفسه: بلى عرفت ذلك قبل أن يحدث"(كنفاني 2006، صفحة 17)، فهو الذي يتولّى نقل الأحداث من بداية الرواية إلى نهايتها، ويراقب شخصيّاته من الخارج، وهو على اطّلاعٍ تامٍّ على حوار الشخصيّات، يرافقها في أقوالها، ويراقب تحرّكاتها، وهو يعلم ماضيها، وحاضرها، متّخذًا مختلف التقنيات.

وإذا أمعنّا النظر في رواية الطنطوريّة 2010م، نجد أنّ الكاتبة رضوى عاشور قد وظّفت نمط الراوي المشارك بالأحداث، هذا النوع يتداخل فيه دور الراوي مع إحدى الشخصيّات الرئيسيّة، فهو راوٍ متحيّز، يقدّم عالم الرواية التي يرويها من منظوره الخاصّ ورؤيته الذاتيّة، وبهذا فقد تجسّدت رضوى عاشور رؤيتها الفنّيّة والأيديولوجيّة من خلال تلك الطفلة الصغيرة رُقيّة، والمتمثّلة في الشخصيّة المحوريّة في الرواية، وتتحدّث بلسانها وفكرها، وذلك بتوظيف ضمير المتكلم، فجاءت الرواية على شكل سيرةٍ ذاتيّةٍ، تكتبها رُقيّة بطلبٍ من ابنها حسن، فهي تكثر الحديث عن فعل الكتابة: "قد فاجأني ذات مساء بدفتر كبير كتب على غلافه عبارة "الطنطوريّة"، قال: أكتبي أي شيء، أكتبي عن بلدنا، عن البحر، عن الأعراس.. أعيدي بعض ما حكيتِه لنا ونحن صغار، أما الكوارث فاكتبي منها ما تطيقين"(عاشور 2010، صفحة 206)، فالساردة لا يقف دورها عند مجرّد عرض الأحداث والتعليق عليها، إنّما تضفي موقفها السياسي من الأحداث، ما يتيح احتمالاتٍ أكثر لتأويل النصّ، وتشكيل مساحات إنتاجه دلاليًّا. كما ونلاحظ وجود مستوى آخر من أشكال السرد، وهو وجود عددٍ من الرواة، حيث إنّ الشخصيّات نفسها تشارك في عمليّة السرد، ويتناوب مع رُقيّة رواةٌ آخرون في سرد الأحداث، ممّا أعطى لبنية الرواية تميّزًا ومتانةً، فتكون على شكل شهاداتٍ حقيقيّةٍ على الأحداث التي حصلت مع الشعب الفلسطيني داخل فلسطين وخارجها.

- **مقاربة في سيميائيّة اللغة**

إنّ اللغة هي الوسيلة الأولى التي يعبّر بها الأديب عن أفكاره وعواطفه، وليس بإمكانه التفكير إلّا بواسطتها، فمن خلال نشاط هذه اللغة وتفاعلها مع بعضها البعض، ينتج عمله الفنّي مكوّنًا الخطاب الروائي الذي يسعى إليه. إنّ البناء اللغوي الذي تتميّز به كلّ روايةٍ عن الأخرى يحتوي واقعًا ما، وينتج فضاءً يمكننا من خلاله خلق واقعٍ جديدٍ لفضاء متخيّل من ذلك الفضاء الواقعي. وقد تتجلّى اللغة في الخطاب الروائي من خلال مستويين: مستوى السرد، وتكون فيه اللغة بالغالب فصيحةً وسليمةً، ومستوى الحوار، فنجد من الكتّاب من استخدم العاميّة في الحوار، إذ يوظّف الكاتب بعض الكلمات التي تساعده في تصوير الواقع، حيث تكون علاقةٌ بين السياق العامّ والحدث، وذلك حرصًا من الراوي على نقل الواقع بحذافيره، فتكون فيه اللغة عادةً مألوفةً، وأحيانًا عاميّةً باللهجة الدارجة، وذلك لتقريبها من القارئ، وتصويرها الشفّاف للواقع، لأنّها تنقل وجهات نظرٍ مختلفةٍ، تعبّر عن أفكار الشخصيّات ومشاعرها وآرائها، وأحيانًا تناقضاتها في مواقف الحياة. ومن هنا تأتي مستويات اللغة تعبيرًا عن هذه التناقضات المتعدّدة المستويات والأشكال، فقد نجد أنّ الروائي يمزج من خلال هذه المستويات بين اللغة السرديّة واللغة الوصفيّة واللغة الحواريّة واللغة الرمزيّة، ممّا يُكسب النصّ كذلك الصيغة المجازيّة. وبهذا، سنحاول من خلال مقاربة سيميائيّة، أن نتوقّف عند بعض الملامح والخصائص السيميائيّة للّغة في الروايتيْن:

في رواية عائد إلى حيفا 1969م، تعتمد لغة كنفاني على مستوى فنّيّ خاصّ، إذ تحمل بُعدًا واقعيًّا وآخر رمزيًّا، مع ذلك فهي تبدو لغةً يسيرةً تمتزج فيها اللغة السرديّة باللغة الوصفيّة واللغة الحواريّة، وذلك بأسلوب السرد التقليدي، الذي يعتمد ضمير الغائب، بجمل قصيرة، لا تبعث على الإرهاق أو التأمّل العميق في محاولةٍ لفكّ رموزها، أمّا الجمل الطويلة فتوظّف أثناء تحليل الروائي للمواقف: "ودارت زوجته حول السيارة ووقفت إلى جانبه، إلّا أنّها لم تكن بارعةً مثله، أمسك بذراعها وأخذ يقطع الشارع"(كنفاني 2006، صفحة 29)، مستخدمًا الفعل الماضي وكذلك المضارع، وظروف الزمان والمكان.

كما ونلاحظ في الرواية الإنزياحات المختلفة، والأشكال اللغويّة التعبيريّة التي تعتمد على الصور بدرجةٍ كبيرةٍ، التي تكثر فيها التشبيهات: "فجأة جاء الماضي، حادًا مثل السكين"(كنفاني 2006، صفحة 14)، فهنا يشبه الراوي الماضي بالسكّين الجارح المؤلم لشدّة وقعه عليه. ثمّ تشبيه آخر لحال صفيّة: "وأحسّت بشيء يشبه الشلل، يسقطها على كتفه كخرقة بالية لا قيمة لها"(كنفاني 2006، صفحة 21)، فالتشبيه يزيد المعنى وضوحًا، ويكسبه تأكيدًا. وتتمثّل كذلك ظاهرة التكرار في السرد، والمقصود إعادة اللفظ المعجمي نفسه، فيكرّر المتكلّم فعلًا أو اسمًا أو غير ذلك، أو إعادته باستخدام كلمةٍ عامّةٍ أو ترادفٍ ما، وسنعرض بعضًا من صور التكرار التي وردت في الرواية: "ولكن أبدًا أبدًا لم أتصور أنها ستفتح من الناحية الأخرى"(كنفاني 2006، صفحة 11)، وكذلك: "كان يعرفها حجرًا

حجرًا ومفرقًا وراء مفرق"(كنفاني 2006، صفحة 13)، وهناك تكرارٌ من خلال الترادف: "وبدت له الوجوه قاسية وحشية"(كنفاني 2006، صفحة 13)، والهدف توكيد الفكرة.

أمّا في رواية الطنطوريّة 2010م، نجد أنّ لغة الرواية تمتاز بثروتها الدلاليّة، فقد استخدمت عاشور اللغة البسيطة والمتينة، وذلك لتوصيل فكرتها بأسلوبٍ سرديٍّ فنيٍّ بعيدٍ عن التعقيد، إذ استخدمت بالغالب اللغة العربيّة الفصحى ذات الصور البلاغيّة المعبّرة، وكذلك استخدمت اللغة العامّيّة، فجاءت لغة الرواية أيضًا شعبيّةً وسلسةً. وقد عمدت الراوية إلى استخدام مفرداتٍ وعباراتٍ من اللهجة الفلسطينيّة الدارجة، التي من شأنها أن تؤدّي المعنى على أكمل وجه. سنكتفي بعرض بعض النماذج التي تمثّل ذلك، فقد وردت هذه اللهجة غالبًا ضمن الحوارات في الرواية، فجاء على لسان النساء المتحدّثات، مثل حوار أم رُقيّة مع ابنتها يوم خطبتها من ابن عين الغزال: "سيقولون: عروس كسلانة لا تصلح لشيء، هِمّي وفرجيهم شطارتك"(عاشور 2010، صفحة 14). ثمّ ظهر على لسان أم رُقيّة لاحقًا: "يعني أول ما دخلوا دُغْري، والله عَفارِم عليهم"(عاشور 2010، صفحة 50). وكذلك ما جاء على لسان رُقيّة وهي تصف سلوك أمّها في مشهد لأحد أيّام الجمعة في بيتهم: " يوم الجمعة تطبخ وتنفخ وتشيل وتحط، يا رُقيّة هاتي كذا واعملي كذا، "قشريلي هالثومات"، قطعي لي ها البصلات"، وما قالته الجدّة حليمة في وصفها لحفيدها عبد: "هذا بندوق، لحمة فاطّة من قِدر...فنا يُقُشْرُه.. هو وقِلْتُه واحد"(عاشور 2010، صفحة 136). فنجد بهذا الكثير من العبارات باللهجة الفلسطينيّة خلال الحوار بين الشخصيّات، ممّا يساعد في تصوير الواقع الفلسطيني ويقرّب الرواية من القارئ، وذلك حرصًا من الراوية لنقل الواقع الفلسطيني المعاش بحذافيره، وتوثيق معاناته في التهجير اللجوء، وأداء المعنى على أكمل وجه، ممّا يضفي للسرد طابع الواقعيّة.

تُعدُّ الرواية بهذا توثيقًا للواقع الفلسطيني من خلال العادات والتقاليد التي تمثّل التراث الفلسطيني، وهي تضفي إليها الأجواء الشعبيّة على أنواعها، وذلك لترسيخ هذه الألفاظ في الذاكرة، فتقابلنا الأمثال الشعبيّة: "شباط ما عليه رباط، شباط الخباط يشبط ويخبط وريحة الصيف فيه"(عاشور 2010، صفحة 24)، ولا من شاف ولا من دري، "وابن العم يطيح عن ظهر الفرس"، وهذا المثل يعود لعادة تزويج البنت من ابن عمّها، فهو أولى الناس بها. أمّا عن عادات العرس التقليدي الفلسطيني فقد تجلّت في الرواية في ثلاث مراحل: طلبة وخطبة وعرس، يتخلّلها طقوس مختلفة. فالخطبة تكون بتوجُّه مجموعة من الرجال إلى منزل والد العروس فيما يُسمّى بالجاهة، وقراءة الفاتحة، بينما يقوم والد العروس بالذبح للجاهة، وإعداد الولائم (عاشور 2010، صفحة 13-14). أمّا عن طقوس العرس، فتتمثّل من خلال الأغاني الشعبيّة وأغاني الأعراس بعد حمّام العريس التي يردّدها الشباب: "طلع الزين من الحمام.. الله واسم الله عليه"(عاشور 2010، صفحة 10)، وكذلك العتابا والميجانا والأوف المهاهاة التي تتناوب بها النساء: "إيويها... لزينة شباب الحار.. ة إيويها.. إن وصفت بالوصف ما وفّي.. ت، إيويها.. أمير صغير وتلبق له الأمارة، ثمّ زغرودة طويلة.." (عاشور 2010، صفحة 313). وكذلك كان للحكايات الشعبيّة الفلسطينيّة حضور مثل: طريقًا وعرًا محفوفًا بالمخاطر أقرب لرحلة السندباد في بلاد الواق واق، أو مكمن الغولة المترصّدة بالشاطر حسن"(عاشور 2010، صفحة 16)، وكذلك في موضعٍ آخر، أظهرت الرواية عادات اللباس، ولم تغفل ذكر اللباس الفلسطيني الشعبي المطرّز الذي تمثّل في الملفوظات التالية: "ثلاث قطع من القماش، أولاها كبيرة لجسم الثوب من القبّة إلى القدميْن، طرّزت صدره ودائرة الذيل، والقطعتان الأصغر للكمّين على طرف كلّ منهما نفس وحدة التطريز، لم تختر لي قماشًا أسود كالمعتاد"(عاشور 2010، صفحة 200). فقد امتاز الرجل الفلسطيني بلباسه الخاصّ، والمرأة الفلسطينيّة بهيأتها المميّزة، فالرجال يرتدون القمباز والحطّة والعقال (عاشور 2010، صفحة 53،124)، ومن عاداتهم تركيب أسنان الذهب (عاشور 2010، صفحة 120). "بينما تظفر النساء الشعر على هيئة ظفيرتيْن، وتلبس الثوب المطرّز والشال" (عاشور 2010، صفحة 458)، كما ودقّت النساء الوشم لأهداف جمالية (عاشور 2010، صفحة 18). ومن أمثلة التمسّك بالهويّة والانتماء، نلاحظ أيضًا أنّ الراوية قدّمت مشاهد لعادات الحياة اليوميّة المُعاشة، فقد مثّلت الرواية طقوسًا محدّدةً في يوم الجمعة، تتمثّل في الاستحمام وارتداء الملابس النظيفة استعدادًا لصلاة الجمعة، وتجهيز وجبة غداءٍ مختلفةٍ عن باقي أيام الأسبوع (عاشور 2010، صفحة 47). كذلك استعملت العديد من ملفوظات اللغة المحكيّة الفلسطينيّة، مثل: حطّة (كوفِيّة)، كنزة (سُتْرَة من الصوف المشغول) بَنْدوق (ابن حرام)، الكُبّانية، طوشِة (خناقة)، ناصِح (بدين)، خِتْيار (كبير السن)، نِتْفِة (القليل من الشيء)، طُلْبِة (طقس طلب يد العروس)، زَعْرَنة (بلطجة) وغيرها.. وكذلك أشارت الكاتبة إلى أنواع من المأكولات الفلسطينيّة مثل: مَقْلوبِة (أرز مطبوخ بالزهرة والباذنجان)، مْسَخَّن، وكذلك بعض أدوات الطبخ من المطبخ الفلسطيني، كالطُنْجَرَة (إناء لطهي الطعام) وغيرها.. كما لا تخلو الرواية من الألفاظ الأعجميّة بالحروف الإنجليزيّة، التي جاءت على لسان أنيس حفيد رُقيّة المقيم في كندا، إذ أضاف بالإنجليزيّة: "It's politically incorrect" (عاشور 2010، صفحة 19)، ليعبّر عن رأيه عمّا سمع عن جدّته، فهذا التنوّع اللغوي جعل الرواية غنيّةً بمفرداتها المتنوّعة ولغتها الثريّة والمتفرّدة، ورموزها الثريّة والدالّة على مدى إدراك الراوية

بأهمّيّة العلاقة الوثيقة بين الشخصيّة ولغتها، وهي تعي جيّدًا أهمّيّة تلك المفردات، فتقوم بتزويد القارئ في نهاية الرواية بقائمةٍ من بعض الكلمات والعبارات باللهجة الفلسطينيّة الدارجة.

الخاتمة:

البحث عبارة عن مقاربةٍ سيميائية بين عائد إلى حيفا والطنطورية لكشف الأنظمة والعلامات التي تقوم عليها الروايتين وكشف عناصرها ومدلولاتها ورموزها. وقد بحث دلالة كل من: العتبات النصّيّة، الفضاء الزماني، الفضاء المكاني، الشخصيّات، وسيميائيّة اللغة والسرد. وخلص البحث إلى مجموعة من النتائج أهمها ما يلي:

أولًا: النتائج:

- أكّد البحث على أنّ الروايتين تتخّذان الاتجاه الواقعي سبيلًا في تصوير النكبة والتهجير للشعب الفلسطينيّ، باستخدام الوسائل الفنّيّة والتقنيات الروائيّة التي بإمكانها نقل تجربة الهجرة واللجوء والضياع في الشتات، وقامت بوصف الفلسطيني المناضل في داخل البلاد وخارجها.
- أكّد البحث عدم التوافق بين **زمن القصّة وزمن السرد** في رواية عائد إلى حيفا، وتوافقه في رواية **الطنطوريّة**، وذلك بعد مقاربة الحدث الأول في الروايات، فقد لوحظ الاختلاف بين الزمنَيْن بشكلٍ بارزٍ.
- كما بيّن البحث حضور تقنية **تشظّي الخطّ الزمني** في الروايتيْن، فقد اتّسمت البنية الزمنيّة في الروايات بالزمن الدينامي، وهو الحركة التردّديّة للزمن ما بين الماضي والحاضر والمستقبل، وذلك من خلال توظيف تقنيتَيْ: الاسترجاع والاستباق.
- أبرز البحث أنّ حركة السرد في الروايتيْن لم تمضِ على إيقاعٍ زمنيّ واحدٍ، بل ثمّة توتّر فيها ما بين السرعة والإبطاء، وذلك تبعًا للأحوال الوجدانيّة المتباينة، فيتباطأ الزمن أحيانًا في السرد، حيث يتطابق مع الزمن الواقعي تقريبًا، حيث تجلّت آليّات تعمل على إبطاء الزمن.
- أظهرت البحث حضور الأماكن الواقعيّة والأماكن المتخيّلة، التي تقوم على ثنائيّة (قبل/بعد) حيث يكتسب المكان داخل النصّ صورًا وملامح نفسيّة واجتماعيّة وتاريخيّة، ومن هنا فالمكان يتحوّل من مجرّد موقع جغرافي إلى انتماء وجداني. وقد فيها تجلى المكان الواقعي الخالد في الذاكرة.
- بيّن البحث من خلال ثنائية **الحضور والغياب**، بروز أشكال ونماذج مختلفة من الشخصيات، مثل حضور نموذج البطل المقاوم والثوري، ونموذج الفلسطيني السلبي العاجز والمتواطئ، وهناك نموذج الجيل الجديد. وكذلك كان غياب البطل فيها، أو ما يُعرف بالبطل العادي.
- أظهرت البحث تجليّات **صورة المرأة** بأشكال مختلفة، كما وتبيّن من خلال تتبع شخصية المرأة في الروايتين، فتجدها قد نمت وتطورت، وتأثرت بالواقع وصارت مؤثرة فيه، كما وساهمت في الدفاع عن قضيتها، ومارست بنفسها العمل النضالي والسياسي والثوري.
- لقد برز في عائد إلى حيفا **أسلوب السرد** التقليدي، بحيث وجد البحث أنّ مصدر السرد كان الراوي، وذلك باستخدام ضمير الغائب في سرد الأحداث، والراوي يتولّى نقل الأحداث، من بداية الرواية إلى نهايتها. أما في الطنطورية فقد ظهر أسلوب سردي جديد، وكان يتجلى في تعدد الأصوات، حيث قام بسرد الأحداث عدد من الرواة، وتم كذلك الانتقال من ضمير إلى ضمير آخر، فإذا ابتدئ بضمير الغائب، قد يتم الانتقال بعد ذلك إلى ضمير المتكلّم، ثم إلى ضمير المخاطب، مما أعطى لبنية الرواية تميزًا ومتانةً.
- بعد تتبّع **سيميائية اللغة** في الروايات، وجد البحث أنّ هناك توظيفًا لعدة تقنيات لغوية في عملية السرد، مثل تقنية الوصف، كما ووجد أسلوب التشبيه والتكرار، واللغة المجازية والاستعارية في العبارة، وظهر استخدام اللغة العامية الدارجة باللهجة الفلسطينية لتصوير الواقع فيها، وذلك حرصًا من الراوي على نقل الواقع بحذافيره.

ثانيًا: التوصيات:

تجدر الإشارة أن هذه الدراسة قد تكون عبارة عن بداية متواضعة في مجال بحث السيميائية السردية للرواية الفلسطينية، فبالرغم من المجهودات المبذولة للإلمام بجميع جوانب البحث، إلا أنّ الموضوع ما زال بحاجة إلى إيضاحات وإضافات أخرى.

وبناءً على النتائج التي خلصت اليها الدراسة فإننا نوصي بما يلي:

- مثلًا بالإمكان رصد سيميائية الرواية الفلسطينية بعد أوسلو، وتتبع التحولات التي جرت عليها، والأساليب الفنية والتقنية التي تميزها على المستوى التركيبي وعلى المستوى الدلالي، كما وبالإمكان رصد الدلالات الرمزية التي تتمثل فيها، وهو مشروع قد نخوض فيه مستقبلًا.

ثالثًا: المقترحات:

نرى أنه من الضروري الاستفاضة في الدراسات التي تثري الجانب النظري عامة والتطبيقي خاصة للمنهج السيميولوجي، والوقوف على القضايا التي ما زالت بحاجة إلى دراسة جدية متعمّقة، والتي تكشف دراستها عن المفاهيم الأساسية وتزيل الإبهام عن المصطلحات السيميولوجية، والتي من شأنها أن تصبح مرجعًا هامًا للدراسات من هذا النوع، نظرًا لشحّها وندرتها من جهة، وترجمتها شديدة التعقيد من جهة أخرى.

المراجع:

أولًا: المراجع العربية:

إبراهيم وآخرون، عبد الله إبراهيم وسعيد الغانمي وعواد علي. (1996). *معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة*. بيروت: المركز الثقافي العربي.

أبو زيد، أحمد (1995). *المدخل إلى البنائية*. المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية.

إسماعيل، عزوز علي (1990). *عتبات النص في الرواية العربية*. الهيئة المصرية العامة.

بحراوي، حسن (1990). *بنية الشكل الروائي*. المركز الثقافي العربي.

بن مالك، رشيد (2000). *قاموس مصطلحات التحليل السيميائي*. دار القصبة للنشر.

حبيب، نجمة خليل (2014). *رؤى النفي والعودة*. المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

عاشور، رضوى (2010). *الطنطورية*. دار الشروق.

عاشور، رضوى (2016). *الطريق إلى الخيمة*. دار الشروق.

عبيد، كلود (2013). *الألوان (دورها، تصنيفها، مصادرها، رمزيتها، ودلالتها)*. مجد المؤسسة الجامعية للدراسات.

الغذامي، عبد الله (2006). *الخطيئة والتكفير*. المركز الثقافي العربي-دار البيضاء المغرب.

قاسم، سيزا (2004). *بناء الرواية*. مهرجان القراءة للجميع.

قطوس، بسام (2001). *سيمياء العنوان*. جامعة اليرموك.

القلقيلي، عبد الفتاح. وأبو غوش، وأحمد (2012). *الهوية الوطنية الفلسطينية: خصوصية التشكل والإطار الناظم*. مركز بديل. بيت لحم.

كليب، سعدالدين (2005). *النقد العربي الحديث مناهجه وقضاياه*. منشورات جامعة حلب.

كنفاني، غسان (1987). *الآثار الكاملة*. المجلد الثاني. مؤسسة الأبحاث العربية.

كنفاني، غسان (2006). *عائد إلى حيفا*. مؤسسة غسان كنفاني.

كيوان، سهيل (2003). فلسطين: المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي.

لحميداني، حميد (1991). *بنية النص السردي*. المركز الثقافي العربي.

هامون، فيليب (2013). *سيميولوجية الشخصيات الروائية*. ترجمة: سعيد بنكراد. دار الحوار للنشر والتوزيع.

ثانيًا: المراجع الأجنبية:

Greimas, A. J. (1987). *On Meaning Selected Writing in Semiotic Theory*. Translation by Paul J. Perron and Frank H. Collins. University of Minnesota. Press, Minneapolis.

Pappe, I. (2011). *The Ethnic Cleansing of Palestine.* One world Publications. England.

Prince, G. (2003). *A Dictionary of Narratology.* University of Nebraska. America.

Saussure, F. (1983). *Course in General Linguistics.* Edited by Charls Bally and Albert Sechehaye in Collaboration.

ثالثًا: رومنة المراجع العربية:

Abw Zyd, Ahmd (1995). Almdkhl Ela Albna'eyh. Almrkz Alqwmy Llbhwth Alajtma'eyh Waljna'eyh.

Alghdamy, 'Ebd Allh (2006). Alkhty'eh Waltkfyr. Almrkz Althqafy Al'erby-Dar Albyda' Almghrb.

Alqlqyly, 'Ebd Alftah. Wabw Ghwsh, Wahmd (2012). Alhwyh Alwtnyh Alflstynyh: Khswsyh Altshkl Waletar Alnazm. Mrkz Bdyl. Byt Lhm.

Bhrawy, Hsn (1990). Bnyh Alshkl Alrwa'ey. Almrkz Althqafy Al'erby.

Bn Malk, Rshyd (2000). Qamws Mstlhat Althlyl Alsymya'ey. Dar Alqsbh Llnshr.

'Eashwr, Rdwa (2010). Altntwryh. Dar Alshrwq.

'Eashwr, Rdwa (2016). Altryq Ela Alkhymh. Dar Alshrwq.

Ebrahym Wakhrwn, 'Ebd Allh Ebrahym Ws'eyd Alghanmy W'ewad 'Ely. (1996). M'erfh Alakhr Mdkhl Ela Almnahj Alnqdyh Alhdythh. Byrwt: Almrkz Althqafy Al'erby.

'Ebyd, Klwd (2013). Alalwan (Dwrha, Tsnyfha, Msadrha, Rmzytha, Wdlaltha). Mjd Alm'essh Aljam'eyh Lldrasat.

Esma'eyl, 'Ezwz 'Ely (1990). 'Etbat Alns Fy Alrwayh Al'erbyh. Alhy'eh Almsryh Al'eamh.

Hamwn, Fylyb (2013). Symywlwjyh Alshkhsyat Alrwa'eyh. Trjmh: S'eyd Bnkrad. Dar Alhwar Llnshr Waltwzy'e.

Hbyb, Njmh Khlyl (2014). R'ea Alnfy Wal'ewdh. Alm'essh Al'erbyh Lldrasat Walnshr.

Klyb, S'edaldyn (2005). Alnqd Al'erby Alhdyth Mnahjh Wqdayah. Mnshwrat Jam'eh Hlb.

Knfany, Ghsan (1987). Alathar Alkamlh. Almjld Althany. M'essh Alabhath Al'erbyh.

Knfany, Ghsan (2006). 'Ea'ed Ela Hyfa. M'essh Ghsan Knfany.

Kywan, Shyl (2003). Flstyn: Alm'essh Alflstynyh Llershad Alqwmy.

Lhmydany, Hmyd (1991). Bnyh Alns Alsrdy. Almrkz Althqafy Al'erby.

Qasm, Syza (2004). Bna' Alrwayh. Mhrjan Alqra'h Lljmy'e.

Qtws, Bsam (2001). Symya' Al'enwan. Jam'eh Alyrmwk.

المجلة الدولية للدراسات اللغوية والأدبية العربية

المجلد السادس، العدد الثاني، 91:82
حزيران (2024)

بحث رقم 3

Is Islam a Religion of Peace, or Violence and Terror? A Socio-Cultural Study

هل الإسلام دين سلام أم عنف وإرهاب؟ دراسة اجتماعية وثقافية

Mahmoud Kanakri[1], Mohammad Shihab[2]

[1] Professor of Linguistics, Yarmouk University, Jordan
[2] Jadara University, Jordan
[1] ikanakri@hotmail.com

Received استلام البحث	Revised مراجعة البحث	Accepted قبول البحث
2024/3/5	2024/5/5	2024/6/5

DOI: https://doi.org/10.31559/JALLS2024.6.2.3

This file is licensed under a *Creative Commons Attribution 4.0 International*

رفـــاد REFAAD
www.refaad.com

International Journal for Arabic Linguistics and Literature Studies (JALLS)
المجلة الدولية للدراسات اللغوية والأدبية العربية
Journal Homepage: https://www.refaad.com/Journal/Index/6
E-ISSN 2663-5860 | P-ISSN 2663-5852

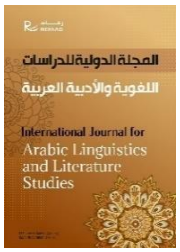

Is Islam a Religion of Peace, or Violence and Terror? A Socio-Cultural Study

هل الإسلام دين سلام أم عنف وإرهاب؟ دراسة اجتماعية وثقافية

Abstract:

Objectives: The present paper endeavors to tackle an important topic that pertains to peace in the case of all people of the world, including Arabs and all Muslims. It also covers the nature and psychology of Muslims in general and Arabs, in particular.

Methods: The paper employs a descriptive statistical method based on the frequency of peace, war, and violence terms in the Holy Koran, the method of compiling the data for this study includes surveying all the words that recur in the Holy Quran by reference to Al-fahras Almugjam, written by Abdel-baqi Fuad. All the words related to the root 'salam' are calculated and analyzed.

Conclusions: The findings of the paper include a number of points, such as the point that peace is an integral part of thought and belief in Islam. Arabs and Muslims are peaceful people; they wish all peoples happy life and believe in co-existence with all nations, but at the same time, they like other nations to respect them and deal with them as strong and brave people as their religion wants them to be.

Keywords: *The Holy Koran; peace; war; violence; Muslims.*

الملخص:

الأهداف: تحاول هذه الدراسة معالجة موضوع يتعلق بالسلام الذي يهم جميع شعوب العالم بما فيهم الأمتين العربية والإسلامية وتعرج الدراسة كذلك على موضوع يتعلق بطبيعة العرب والمسلمين ونفسيتهم.

المنهجية: استخدمت الدراسة الأسلوب الإحصائي الوصفي وذلك اعتمادًا على تكرار كلمان سلام وحرب وعنف واعتمدت الدراسة في جمع المعلومات على أسلوب مسح جميع الكلمات المشتقه من الجذر "سلم " والمتكرره في القران الكريم، وذلك بالرجوع إلى الفهرس المعجم لألفاظ القران الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي 1981، حيث تم حساب وتحليل جميع هذه الكلمات المشتقة.

خلاصة الدرسة: خلصت الدراسة إلى فكرة أن السلام شيء أساسي في الفكر والاعتقاد الديني الإسلامي، وأن العرب والمسلمين أناس مسالمين، ويؤمنون بالتعايش السلمي مع كل الأمم، ولكنهم يطلبون من كل شعوب العالم أن يتعاملوا معهم كذلك.

الكلمات المفتاحية: *القران الكريم؛ سلام؛ حرب؛ عنف؛ مسلمون.*

1 Introduction

Inundations of systematic campaigns have been relentlessly launched against Islam and its followers since September 11th, when the World Trade Center was attacked, what was claimed at that time, by a group of Muslims. The event engendered ostensible and fake ideas about Islam and its followers. Muslims have been accused of being fanatics or even terrorists due to the attacks on World Trade Center in New York. No event has ever affected the destiny and reputation of Muslims as that event has.

The present paper tackles a complicated issue that is intended to convince non-Muslims, especially Europeans and Americans that, Arabs, in particular, and Muslims, in general, are peaceful people as their holy book, the Holy Koran, states or ordains. The Holy Koran is the Muslims' holy and trustworthy book. Muslims are inspired by its teachings and orders. It is deeply believed by all Muslims that the Holy Koran fits all times and places and is completely revealed to Prophet Mohammad by Allah, the Almighty, through the angel called Gabriel, and is protected from any alteration. More importantly, Muslims believe that the holy Koran is a book of peace, (See Standring ,2001), as the discussion that follows explicates. (Shahman, 2021) believes that the events of history clearly show how Muslims tolerated other non-Muslims. He cited one evidence when the Prophet (PBUH) himself received the Christian delegation from Najran and allowed them to stay at his main masjed. Not only did he do that, but he also allowed them to perform their prayers in their due time inside his masjed. On the other hand, (Koylu, 2007) compared the status of peace in various religions, such as Judaism, Christianity, and Buddhism. For instance, in Judaism, the Torah states: "what is hateful (or hurtful) to you, do not do to any other man." (Exodus, 20:13). In Christianity, the New Testament says: "blessed are the peacemakers, for they shall be called the sons of God (5:9). Finally, in Buddhism, the main goal of Buddha is to end human misery. Man should get rid of all desires which lead to all sorts of evil.

Psychologist believe that peace can be internal when a person reaches a high level of comfort, as it is in the case of practicing Yuga. It can also be external when a person can live peacefully and tolerate other people with whom he lives. Islam is more comprehensible that all the religions mentioned above. (Nimir, 2021) states that Islam meets all the above types of psychological matters. It is this type of settlement that all humans seek. (Awadallah, 2017) mentioned that the ultimate purpose of Islam is to disseminate peace and tranquility in the whole world. (Abdel-wahid, 1428 Islamic Calendar) states that the deeds of Prophet Mohammad are sufficient to reveal all the messages of Islam. (Amara, 2005) cited many examples that show the true message of Islam when he cited some examples from the life of the Prophet (PBUH) and pointed out that no religion can reach all the principles of Islam. Finally, (Al-miTani, 1996) mentioned all the principles of peace that Islam calls for.

2 Peace Terms in the Holy Koran

Peace in Arabic has a wide scope, probably more than any language in the whole world today, (but see Gowan, 1984, 10). Merriam Webster Dictionary defines peace as: 1) a state of tranquility or quiet as: a) freedom from civil disturbance, b) a state of security or order within a community provided for by law or custom 2) freedom from disquieting or oppressive thoughts or emotions. 3) harmony in personal relation, 4.a) a state or period of mutual concord between governments, 4.b) a pact or agreement to end hostility between those who have been at war or in a state of enmity. 5. Peace is used interjectionally to ask for silence or calm or as a greeting or farewell. Thus, the term 'salam' "envisions a peaceful harmonious social order of justice towards all without violence or conflict." (Yazdani, 2020, 4)

It seems that the Arabic word 'salaam' carried all of the above meanings or probably more as the discussion shows below.

Muᶜjam Al-wasit, an Arabic-Arabic dictionary, shows the canonical root or entry (p. 446) for the word 'peace' (salaam). This Arabic word coveys the meaning of 'free of epidemic or diseases,

innocence, peace'. The root gives derivation to many words, such as *silm*, *salm*, *salam* and *salaam*, all of which share the basic meaning of 'peace'.

The first derived word is *silm*. It means 'Islam' and recurred in the Holy Koran for only one time. It appeared in the following aya:

208. O ye who believe! Enter into Islam whole-heartedly; and follow not the footsteps of the evil one; for he is to you an avowed enemy. (The Cow)

The word salm, which means 'peace relations' recurred twice in the Holy Koran as the following ayat show:

61. But if the enemy incline towards peace, do thou (also) incline towards peace, and trust in Allah for He is One that heareth and knoweth (all things). (Spoils of War)

35. Be not weary and faint-hearted, crying for peace, when ye should be uppermost: for Allah is with you, and will never put you in loss for your (good) deeds. (Mohammad)

The third term derived from 'salama' is salam,' which means 'submission'. It recurred four times in the Holy Koran, as the following ayat show below:

90. Except those who join a group between whom and you there is a treaty (of peace), or those who approach you with hearts restraining them from fighting you as well as fighting their own people. If Allah had pleased, He could have given them power over you, and they would have fought you: Therefore if they withdraw from you but fight you not, and (instead) send you (Guarantees of) peace, then Allah Hath opened no way for you (to war against them). (Women)

91. Others you will find that wish to gain your confidence as well as that of their people: Every time they are sent back to temptation, they succumb thereto: if they withdraw not from you nor give you (guarantees) of peace besides restraining their hands, seize them and slay them wherever ye get them: In their case We have provided you with a clear argument against them. (Women)

28. "(Namely) those whose lives the angels take in a state of wrong-doing to their own souls." Then would they offer submission (with the pretense), "We did no evil (knowingly)." (The angels will reply), "Nay, but verily Allah knoweth all that ye did; (The Bee)

87. That Day shall they (openly) show (their) submission to Allah. And all their inventions shall leave them in the lurch. (The Bee)

The word 'salaam' meaning 'peace' recurred thirty-five times in the Holy Koran. Due to this number, it is sufficient to state or mention three of them here:

16. Wherewith Allah guideth all who seek His good pleasure to ways of peace and safety, and leadeth them out of darkness, by His will, unto the light,- guideth them to a path that is straight. (The Table)

94. O ye who believe! When ye go abroad in the cause of Allah, investigate carefully, and say not to anyone who offers you a salutation: "Thou art none of a believer!" Coveting the perishable goods of this life: with Allah are profits and spoils abundant. Even thus were ye yourselves before, till Allah conferred on you His favors: Therefore, carefully investigate. For Allah is well aware of all that ye do. (Women)

46. Between them shall be a veil, and on the heights will be men who would know everyone by his marks: they will call out to the Companions of the Garden, "peace on you": they will not have entered, but they will have an assurance (thereof). (The Heights)

The word salaam could also convey the meaning of 'greeting' which is also a sign of peace and good relationship. The meaning recurred eleven times in different verses (ayat, henceforth) in the Holy Koran. Due to the limited space, I will try to mention three ayat only:

94. O ye who believe! When ye go abroad in the cause of Allah, investigate carefully, and say not to anyone who offers you a salutation: "Thou art none of a believer!" Coveting the perishable goods of this life: with Allah are profits and spoils abundant. Even thus were ye yourselves before, till

Allah conferred on you His favors: Therefore carefully investigate. For Allah is well aware of all that ye do. (The Women)

10. (This will be) their cry therein: "Glory to Thee, O Allah." And "Peace" will be their greeting therein! And the close of their cry will be: "Praise be to Allah, the Cherisher and Sustainer of the worlds!" (Johan)

23. But those who believe and work righteousness will be admitted to gardens beneath which rivers flow, - to dwell therein for aye with the leave of their Lord. Their greeting therein will be: "Peace!" (Abraham)

The same word *salaam* carries also a further meaning which is 'paradise' in three ayat, as the following ayat show below:

16. Wherewith Allah guideth all who seek His good pleasure to ways of peace and safety, and leadeth them out of darkness, by His will, unto the light,- guideth them to a path that is straight. (The Cattle)

127. For them will be a home of peace in the presence of their Lord: He will be their friend, because they practiced (righteousness). (The table)

25. But Allah doth call to the Home of Peace: He doth guide whom He pleaseth to a way that is straight. (Johan)

Finally, the word *salaam* carries the meaning of *Allah*, the Great, as the following koranic aya shows below:

23. Allah is He, than Whom there is no other god;- the Sovereign, the Holy One, the Source of Peace (and Perfection), the Guardian of Faith, the Preserver of Safety, the Exalted in Might, the Irresistible, the Supreme: Glory to Allah. (High is He) above the partners they attribute to Him. (The Exile)

Another derived form of *salam* is the word *salaaman.* This word recurred eight times, as the ayat clearly show below:

69. There came Our messengers to Abraham with glad tidings. They said, "Peace!" He answered, "Peace!" and hastened to entertain them with a roasted calf. (Houd)

52. When they entered his presence and said, "Peace!" He said, "We feel afraid of you!" (Hijr)

62. They will not there hear any vain discourse, but only salutations of Peace: And they will have therein their sustenance, morning and evening. (Mary)

69. We said, "O Fire! be thou cool, and (a means of) safety for Abraham!" (The Prophets)

63. And the servants of ((Allah)) Most Gracious are those who walk on the earth in humility, and when the ignorant address them, they say, "Peace!" (The Standard)

75. Those are the ones who will be rewarded with the highest place in heaven, because of their patient constancy: therein shall they be met with salutations and peace." (The Standard)

25. Behold, they entered his presence, and said: "Peace!" He said, "Peace!" (and thought, "These seem) unusual people." (The Winnowing Wind)

26. Only the saying, "Peace! Peace". (The Event)

After calculating all of the above terms, one can come up with 65 terms that convey the meaning of peace or call for peace with all people whether they are Muslims, Christians, Jews, or other believers of any religion **or creed.**

Now if one consults historical references, he/she finds how the enemies of Islam treated both Muslims and Jews. One example mentioned by Krey (1921: 261) describing what the Crusader did in Palestine says:

"Wonderful sights were to be seen. Some of our men (and this was more merciful) cut off the heads of their enemies: others shoot them with arrows, so that they fell from the towers; others tortured them long by casting them into flames. Piles of heads, hands and feet were to be seen in the streets of the city. It was necessary to pick one's way over the bodies of men and horses. But these were small matters compared to what happened at the Temple of Solomon, a place where religious services are normally chanted ----- in the temple and the porch of Solomon, men rode in blood up to their knees and bridle reins." (See also Yahya, 2010)

Also in 1194, Richard the Lionheart, who is portrayed to be as a great hero in British history, had 3000 Muslims, among whom were many women and children, basely executed in Acre Castle. Muslims, on the other hand, did not resort to the same way, even though they witnessed the same massacre. After capturing the city of Jerusalem, they were forgiving and tolerating, thus following the words of Allah in Surat al-Maida "Do not let hatred for a people ---- incite you into going beyond the limit." After the battle of Hittin in 1187, two leaders of the crusaders, namely, Reynauld of Carillon and King Guy, were brought to Saladin, the Muslim leader, as captives; what he did was the release of King Guy as he did not commit whole crimes against Muslims, but he executed Reynauld of Chatillon, who was known in killing thousands of Muslims. (Al-farouqi, 199, 63) stated that "there is a critical distinction to be made between the religious meaning to be appropriated from history, from temporary events, and imbuing these events with an absolute sacredness that removes them from the realm of history."

A further example comes from Spain, formerly called Andalus, where all minorities enjoyed a happy life and were given enough freedom to practice their religion. (Bernard Lewis, 1984) states:

"Generally the Jewish people were allowed to practice their religion and live according to the laws and scriptures of their community. Furthermore, the restrictions to which they were subject were social and symbolic rather than tangible and practical in character. That is to say, these regulations served to define the relationship between the two communities, and not to oppress the Jewish population." The Wikipedia says that Andalus was the center of contemporary Jews. Especially after 912, during the reign of Abd el-Rahman III and his son, Al-Hakam. The Jews prospered culturally and some notable figures held high posts in the Caliphate of Cordoba ------ Jews took part in the overall prosperity of Muslim Al-Andalus."

3 War Terms

Now if we compare the above terms that call for peace with other terms that call for waging war against the enemies of Islam, we find a limited number of such terms that reach eleven terms only. The word 'war' 'harb' with its various derived words occurs only six times in the Holy Koran as the following ayat show below:

haaraba 'he fought':

107. And there are those who put up a mosque by way of mischief and infidelity - to disunite the Believers - and in preparation for one who warred against Allah and His Messenger aforetime. They will indeed swear that their intention is nothing but good; But Allah doth declare that they are certainly liars. (Repentance)

Yohaaribuuna 'they fight':

33. The punishment of those who wage war against Allah and His Messenger, and strive with might and main for mischief through the land is: execution, or crucifixion, or the cutting off of hands and feet from opposite sides, or exile from the land: that is their disgrace in this world, and a heavy punishment is theirs in the Hereafter" (The Table)

Harb 'war':

279. If ye do it not, take notice of war from Allah and His Messenger. But if ye turn back, ye shall have your capital sums: Deal not unjustly, and ye shall not be dealt with unjustly." (The Cow)

64. The Jews say: "(Allah)'s hand is tied up." Be their hands tied up and be they accursed for the (blasphemy) they utter. Nay, both His hands are widely outstretched: He giveth and spendeth (of His bounty) as He pleaseth. But the revelation that cometh to thee from Allah increaseth in most of them their obstinate rebellion and blasphemy. Amongst them, we have placed enmity and hatred till the Day of Judgment. Every time they kindle the fire of war, Allah doth extinguish it; but they (ever) strive to do mischief on earth. And Allah loveth not those who do mischief..." (The Table)

57. If ye gain the mastery over them in war, disperse, with them, those who follow them, that they may remember. (The Spoil of War)

4. Therefore, when ye meet the Unbelievers (in fight), smite at their necks; At length, when ye have thoroughly subdued them, bind a bond firmly (on them): thereafter (is the time for) either generosity or ransom: Until the war lays down its burdens. Thus (are ye commanded): but if it had been Allah's Will, He could certainly have exacted retribution from them (Himself); but (He lets you fight) in order to test you, some with others. But those who are slain in the Way of Allah, - He will never let their deeds be lost." (Mohammad)

The word 'fight' or 'kill' has been mentioned in the Holy Koran one hundred and seventy-one times. Most of these terms describe what people used to do in their lives throughout history. Some of these terms are related to one of Adam's sons, Qabil, who killed his brother Habil, as the latter's sacrifice for the sake of Allah was accepted while the former's sacrifice was rejected:

30. The (selfish) soul of the other led him to the murder of his brother: he murdered him, and became himself) one of the lost ones. (The Table)

33. The punishment of those who wage war against Allah and His Messenger, and strive with might and main for mischief through the land is: execution, or crucifixion, or the cutting off of hands and feet from opposite sides, or exile from the land: that is their disgrace in this world, and a heavy punishment is theirs in the Hereafter. (The Table)

What is important to know is that the frequency of the word 'fight' or 'kill' as an incentive for fighting or killing is only *four times* as the following ayat show:

191. And slay them wherever ye catch them, and turn them out from where they have turned you out; for tumult and oppression are worse than slaughter; but fight them not at the Sacred Mosque, unless they (first) fight you there; but if they fight you, slay them. Such is the reward of those who suppress faith. (The Cow)

89. They but wish that ye should reject Faith, as they do, and thus be on the same footing (as they): But take not friends from their ranks until they flee in the way of Allah (From what is forbidden). But if they turn renegades, seize them and slay them wherever ye find them; and (in any case) take no friends or helpers from their ranks. (Women)

91. Others you will find that wish to gain your confidence as well as that of their people: Every time they are sent back to temptation, they succumb thereto: if they withdraw not from you nor give you (guarantees) of peace besides restraining their hands, seize them and slay them wherever ye get them: In their case We have provided you with a clear argument against them. (Women)

The word 'fight' or 'kill' appears in twelve different positions. In eight positions, the word calls Muslims to fight the enemies of Islam as they prohibit the spread of Islam or as a strategy to defend the Islamic territories. Some of these ayat are:

190. Fight in the cause of Allah those who fight you, but do not transgress limits; for Allah loveth not transgressors. (The Cow)

36. The number of months in the sight of Allah is twelve (in a year) - so ordained by Him the day He created the heavens and the earth; of them four are sacred: that is the straight usage. So wrong not yourselves therein, and fight the Pagans all together as they fight you all together. But know that Allah is with those who restrain themselves. (Repentance)

The word 'kill' recurred twenty-nine times but this time it appeared to be related to the deeds or killings of the people of Israel. Some of these ayat are:

19. Then, when he decided to lay hold of the man who was an enemy to both of them that man said: "O Moses! Is it thy intention to slay me as thou slewest a man yesterday? Thy intention is none other than to become a powerful violent man in the land, and not to be one who sets things right!" (The Stories)

157. That they said (in boast), "We killed Christ Jesus the son of Mary, the Messenger of Allah, but they killed him not, nor crucified him, but so it was made to appear to them, and those who differ therein are full of doubts, with no (certain) knowledge, but only conjecture to follow, for of a surety they killed him not:- (Women)

10. Said one of them: "Slay not Joseph, but if ye must do something, throw him down to the bottom of the well: he will be picked up by some caravan of travelers." (Joseph)

The other frequencies of the word 'kill' talks about killing in general or killing or fighting related to the hypocrites or the result of fights among Muslims. Examples on these meanings are:

92. Never should a believer kill a believer; but (If it so happens) by mistake, (Compensation is due): If one (so) kills a believer, it is ordained that he should free a believing slave, and pay compensation to the deceased's family, unless they remit it freely. If the deceased belonged to a people at war with you, and he was a believer, the freeing of a believing slave (Is enough). If he belonged to a people with whom ye have treaty of Mutual alliance, compensation should be paid to his family, and a believing slave be freed. For those who find this beyond their means, (is prescribed) a fast for two months running: by way of repentance to Allah. for Allah hath all knowledge and all wisdom. (Women)

33. Nor take life - which Allah has made sacred - except for just cause. And if anyone is slain wrongfully, we have given his heir authority (to demand qiSaS or to forgive): but let him nor exceed bounds in the matter of taking life; for he is helped (by the Law). (Al-Isra, the Night Journey)

20. Those who believe say, "Why is not a sura sent down (for us)?" But when a sura of basic or categorical meaning is revealed, and fighting is mentioned therein, thou wilt see those in whose hearts is a disease looking at thee with a look of one in swoon at the approach of death. But more fitting for them. (Mohammad)

There are seven situations where Muslims are ordained not to kill, as some of the following verses show below:

29. O ye who believe! Eat not up your property among yourselves in vanities: But let there be amongst you Traffic and trade by mutual good-will: Nor kill (or destroy) yourselves: for verily Allah hath been to you Most Merciful! (Women)

95. O ye who believe! Kill not game while in the sacred precincts or in pilgrim garb. If any of you doth so intentionally, the compensation is an offering, brought to the Ka'ba, of a domestic animal equivalent to the one he killed, as adjudged by two just men among you; or by way of atonement, the feeding of the indigent; or its equivalent in fasts: that he may taste of the penalty of his deed. Allah forgives what is past: for repetition Allah will exact from him the penalty. For Allah is Exalted, and Lord of Retribution. (The Table)

151. Say: "Come, I will rehearse what Allah hath (really) prohibited you from": Join not anything as equal with Him; be good to your parents; kill not your children on a plea of want; - We provide sustenance for you and for them; - come not nigh to shameful deeds. Whether open or secret; take

not life, which Allah hath made sacred, except by way of justice and law: thus doth He command you, that ye may learn wisdom. (The Cattle)

31. Kill not your children for fear of want: We shall provide sustenance for them as well as for you. Verily the killing of them is a great sin. (Isra, The Night Journey)

4 Analysis and Discussion

After surveying all the terms and lexical items relevant to peace, war, violence, fighting or killing in the Holy Koran, one finds out that peace terms outnumber all other terms in any language. Unlike (Smeik 2021) who stated that peace terms occurred 140 times and war words occurred six times, the researchers found about 133 words that are derived from the root "salam,' while in the case of war the number is only six times, two as verbs and four as nouns. (Dweikat 2021) advocated the same number. This shows crystal clear that in Islam peace is the only purpose it seeks and its message is to spread peace throughout the world. There is no doubt about this as the Holy Koran has shown above. It is the only source of reference that Muslims draw what they are supposed to do in this life. However, in other religions, say Judaism, (Gowan, 1984) states that the number of peace terms in the Old testament is 250 terms, but one does not find any word for peace in the New Testament, except for the Greek word *eirene* (pronounced Eye-ray-nai), which carries a similar meaning to peace in Hebrew. The frequency of eirene is 90 times.

On the other hand, one finds a few words that talk about violence, fighting or relevant words to these. Commenting on this, (Galtung, 1996, 198) mentioned that violence occurs in three forms of modalities:

- Direct modality which is manifested in various forms such as killing, siege and maiming.
- Structural violence which results from the presence of social structures whose cornerstones are exploitation and repression. This modality can be witnessed in various social structures such as politics, education, religion and media.
- Cultural violence. This refers to a country that is considered racists, ethnic and monopolistic.

(Howard, 1971, 226) believes that peace caries wider meanings than just the absence of war; it is also "the maintenance of an orderly and just society." This is what is actually meant by peace in Islam.

While there are only four terms that motivate or encourage or even order Muslims to fight the enemies of Islam, there are numerous terms that call for peace between Muslims and non-Muslims. The terms which call Muslims to fight or to launch Jihad have to be understood in light of two points. The first point is that Jihad is a must on all Muslims when their countries are attacked or threatened by any foreign forces. This is really natural as all humans have the same right or tendency to do so. One well-known example is the long war in Vietnam. Vietnamese lost thousands of lives while defending their country against Americans when the latter attacked their country. The second point is that Jihad is obligatory when the word of Allah (the spread of Islam) has been prohibited by forces from non-Muslims. Allah here ordains that Islam be delivered to the whole world, whether people accept it or not. In other words, Muslims in this world are like a postman whose duty is to deliver messages. But it is not their duty to *force* people to accept the message. These two points have been proclaimed by Muslims for ages. It should, however, be maintained that the behavior of individual Muslims should not be over-generalized to all Muslims who will indeed be victims of this erroneous over-generalization. This is what is actually going on in the world today. The actual doer or destroyer of the World Trade Centers or Towers is still a large question that awaits logical answers. America launched two illogical wars against Afghanistan and Iraq imbued with uncertain information that it was Al-Kaida that attacked the Trade World Center, and that Iraq was developing a biological weapon. Thousands of innocent people were massacred or killed due to pieces of uncertain and doubtful information. These wars have engendered endless hatred and anger in the Islamic and Arab worlds. It is really time to stop these wars and similar others immediately and open channels of dialogue and communication between the east (the Arab world in particular) and the west (America in particular). This piece of

research is one form of dialogue that intends to open avenues for future thought and discussion between the east and west and between Muslims and non-Muslims.

5 Conclusion

This paper has clearly shown the frequency of the terms associated with peace compared to terms relevant to violence such as fighting, killing or war in the Holy Koran. The Holy Koran is the only religious book from which all Muslims derive their teachings, beside the well-known traditions of Prophet Mohammad (PBUP). The study shows that peace terms outnumber all other terms. This clearly points to the bright side and essence of Islam. Islam is not responsible for the behavior of some people who claim that they are Muslims but their deeds or behavior are not actually so. In other words, Islam should not be accused of what others do. If people want to recognize the true message of Islam, then the Holy Koran and the traditions of the Prophet are the only sources. In these two sources, Islam expresses the real love and care of humanity. Moreover, Islam calls for an urgent need to build a culture of peace in this world, as Allah mentioned in the Holy Koran (3:64): "Say: "O people of the Book! Come to common terms as between us and you: that we worship none but Allah; that we associate no partners with Him; that we erect not, from among ourselves, Lords and patrons other than Allah." If then they turn back, say ye "Bear witness that we (at least) are Muslims (bowing to Allah's will)."

The present author believes that this paper and similar ones are certain to be hailed as a scientific milestone that refutes all alleged and ostensible ideas and rumors that accuse Islam of being a religion of blood and sword. Islam supports any steps or ways that are conducive to world community that enjoys tranquility, peace and happiness. Consequently, Islam is the only system of belief that guide the whole world the shore of peace, harmony and tranquility.

References:

The Holy Koran. Translated by Ali Y. Ali. U.S.A., Maryland: Amana Corporation.

Abdel-baqi, M. (1981). *Indexed Encyclopedia of Koranic Terms*. Cairo: Dar Al-Fikr. Alexandria, Virginia: Al-Sadawi Publications.

Abdel-wahid, S. (1428). Islamic Calendar. *The Ways of Peace in the True Life of the Best Human being (In Arabic).* Yemen: The Monument library of Aliens.

Al-ghneid, M. (2020). *The notion of peace in Islam. A website on Islam.*

Al-ghouri, S. A. (2015). *The Islamic Civilization: its pillars, Characteristics, reasons of its success and accomplishments*. Malaysia, Silangour: The Institute of the Prophet's Traditions, The Islamic College.

Al-hamdani, H. (2020). *Social Peace: its necessities and principles in light of the Islamic ShariCa.*

Al-jismi, S. H. (2015). *Islam is the Religion of Peace*. A web-site on the Islamic Culture

Al-mitCani, A. (1996). *The Principles of Co-existence in Islam: Approach and life*. Dar Al-fatH.

Al-Qurtubi, M. (1993). *Al-Jamiᶜ Li-Ahkaam Al-Kor?an,* Vols. I-XX. Beirut: Dar Al-Kutub Al-ᶜilmiyya.

Awadallah, A. (2017). *The Spread of Security and Peace in Islam*. Gaza: The Islamic University.

Dweik, S. (2021). *An Article on Islam*. A website on Islam.

Gowan, D. (1984). *Shalom: A Study of the Biblical Concept of Peace*. Creative Edge/Kerygma. Consult: www.kerygma.com

Howard, M. (1971). *Studies in War and Peace*. Viking Compass.

Koylu, M. (2007). Peace Education: an Islamic approach. *The Spirit of Islam Journal.*

Krey, A. (1921). *The Account of Eye-witnesses and Participants*. Princeton University Press.

Lewis, B. (1984). *The Jews of Islam.* Princeton University Press.

Mustafa, I, Al-Zayyat, A. Abdel-Qadir, H. & Al-Najjar (eds.). (1972). *Muᶜjam Al-Wasit*, vols. 1 and 2. Istanbul, Turkey: Al-Maktaba Al-Islamiyya.

Nimer, M. W. (2021). *Islam is the religion of peace*. (In Arabic), Cairo.

Omara, M. (2005). *This is Islam*. (In Arabic) Cairo: Dar Al-shurooq.

Shahmat, M. (2021). *Examples of Tolerance in History*. Abu Dhabi: Dar Zayid for the Islamic Culture.

Smeik, H. (2021). *Strategies Think Tank*. A Website on Islam.

Standring, P. (2001). *Koran, a book of peace, scholars says, National Geography Today.* Look also at this website: www.cair.com/AmericanMuslims/AntiTerrorism/koran

The Muslim-Christian Consultation (1988). *Proceedings of the Muslim-Christian Consultation*. Chambesy-Switzerland.

Yahya, H. (2010) *Islamic Peace throughout History*. At www.harounyahya.com.

Yazdani, A. (2020). *The culture of peace and religious tolerance from an Islamic perspective*. Ruta 68 s/n; Casillas 32.

Zakzouk, M. Vanoni, G. Schbestari, M. & Madji, N. (1996). *Peace for Humanity: Principles, Problems and Perspectives of the Future as Seen by Muslims and Christians*. (Edited by Andreas Bsteh). Delhi: Vikus Publishing House Pvt. Ltd.

المجلة الدولية للدراسات اللغوية والأدبية العربية

المجلد السادس، العدد الثاني، 101:92
حزيران (2024)

بحث رقم 4

Importance and Role of Artificial Intelligence for Arabic Translators

أهمية ودور الذكاء الاصطناعي لدى المترجمين العرب

Rashad Seyidov

Faculty of Theology Basic Islamic Sciences Arabic Language and Rhetoric, Ataturk University, Turkiye
resadseyidov373@gmail.com

Received استلام البحث	Revised مراجعة البحث	Accepted قبول البحث
2024/5/25	2024/6/25	2024/7/1

DOI: https://doi.org/10.31559/JALLS2024.6.2.4

This file is licensed under a *Creative Commons Attribution 4.0 International*

رفـــاد REFAAD
www.refaad.com

International Journal for Arabic Linguistics and Literature Studies (JALLS)
المجلة الدولية للدراسات اللغوية والأدبية العربية
Journal Homepage: https://www.refaad.com/Journal/Index/6
E-ISSN 2663-5860 | P-ISSN 2663-5852

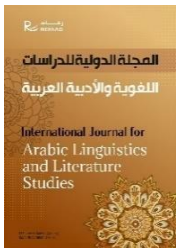

Importance and Role of Artificial Intelligence for Arabic Translators

أهمية ودور الذكاء الاصطناعي لدى المترجمين العرب

Abstract:

Objectives: This study aims to investigate the significance of artificial intelligence (AI) in enhancing the capabilities and efficiency of Arabic translators. It explores how AI technologies can aid in overcoming challenges specific to Arabic language translation, such as dialectal variations and complex linguistic structures.

Methods: A comprehensive review of existing literature on AI applications in language translation, particularly focusing on Arabic, was conducted. The study also includes an analysis of current AI-driven translation tools and their effectiveness in handling nuances and cultural contexts inherent in Arabic text.

Conclusions: AI presents a transformative opportunity for Arabic translators by offering advanced tools for automatic translation, text processing, and linguistic analysis. While challenges remain, such as maintaining linguistic accuracy and cultural sensitivity, AI technologies continue to evolve, providing increasingly reliable support to translators. This research underscores the growing importance of integrating AI into the practice of Arabic translation, emphasizing its role in improving translation quality, efficiency, and accessibility.

Keywords: *Artificial intelligence; translation; Arabic language; neural; technique; programs.*

الملخص:

الأهداف: تهدف هذه الدراسة إلى معرفة أهمية الذكاء الاصطناعي في تعزيز قدرات وكفاءة المترجمين العرب. ويستكشف كيف يمكن لتقنيات الذكاء الاصطناعي أن تساعد في التغلب على التحديات الخاصة بترجمة اللغة العربية، مثل اختلافات اللهجات والهياكل اللغوية المعقدة.

المنهجية: تم إجراء مراجعة شاملة للأدبيات الموجودة حول تطبيقات الذكاء الاصطناعي في ترجمة اللغات، مع التركيز بشكل خاص على اللغة العربية. تتضمن الدراسة أيضًا تحليلًا لأدوات الترجمة الحالية المعتمدة على الذكاء الاصطناعي ومدى فعاليتها في التعامل مع الفروق الدقيقة والسياقات الثقافية المتأصلة في النص العربي.

خلاصة الدرسة: يمثل الذكاء الاصطناعي فرصة تحويلية للمترجمين العرب من خلال تقديم أدوات متقدمة للترجمة الآلية ومعالجة النصوص والتحليل اللغوي. في حين لا تزال هناك تحديات، مثل الحفاظ على الدقة اللغوية والحساسية الثقافية، فإن تقنيات الذكاء الاصطناعي تستمر في التطور، مما يوفر دعمًا موثوقًا به بشكل متزايد للمترجمين. يؤكد هذا البحث على الأهمية المتزايدة لدمج الذكاء الاصطناعي في ممارسة الترجمة العربية، مع التأكيد على دوره في تحسين جودة الترجمة وكفاءتها وإمكانية الوصول إليها.

الكلمات المفتاحية: *الذكاء الاصطناعي؛ الترجمة؛ اللغة العربية؛ العصبية؛ التقنية؛ البرامج.*

1 Introduction

In recent years, the integration of Artificial Intelligence (AI) into language translation processes has marked a significant paradigm shift, particularly in the context of translating Arabic text. The complexities inherent in Arabic, with its intricate morphology, diverse dialects, and cultural nuances, pose unique challenges for automated translation systems. However, advancements in AI-driven translation technologies have shown promising results in bridging the linguistic gap and facilitating cross-cultural communication. From machine learning algorithms to neural network models, AI applications are revolutionizing the way Arabic content is translated, enabling more accurate and contextually relevant outputs. Despite these advancements, challenges such as capturing dialectal variations, preserving cultural nuances, and ensuring linguistic accuracy persist. Ethical considerations, including privacy concerns and algorithmic biases, also underscore the need for responsible development and deployment of AI-powered translation tools. As AI continues to evolve, the future of Arabic translation holds immense potential for fostering global connectivity, preserving linguistic diversity, and promoting mutual understanding across borders.

The integration of Artificial Intelligence (AI) software has brought about transformative benefits for Arabic translators, revolutionizing the way they work and enhancing the quality and efficiency of their translations. With its complex morphology, diverse dialects, and rich cultural nuances, Arabic presents unique challenges for translators. However, AI-powered translation tools offer invaluable assistance by automating routine tasks, such as language detection, text segmentation, and terminology management. This streamlines the translation process, allowing translators to focus on higher-level tasks like context interpretation and stylistic refinement. The benefits of AI software for Arabic translators are manifold, ranging from improved productivity and language comprehension to enhanced terminology management and access to linguistic resources. By leveraging AI technology, Arabic translators can overcome the challenges posed by the complexities of the Arabic language and deliver high-quality translations that resonate with diverse audiences. As AI continues to evolve, the future holds even greater promise for empowering Arabic translators and advancing the field of translation.

2 The History of Artificial Intelligence

Alan Turing, an English mathematician, logician, and cryptanalyst, is widely regarded as the founding father of artificial intelligence. Turing's expertise in mathematics and logic proved invaluable during World War II when he was recruited by the Government Code and Cypher School (GC&CS) to assist in deciphering encrypted messages sent by the Axis powers. Turing's pivotal role in breaking the Enigma code, used by the Germans to encrypt military communications, is widely regarded as a turning point in the war effort. His groundbreaking work at Bletchley Park, where he led a team of codebreakers, significantly shortened the duration of the war and saved countless lives (Oztemel, 2020). Turing's experiences at Bletchley Park laid the groundwork for his subsequent contributions to the field of computing. In 1936, Turing published his seminal paper titled "On Computable Numbers, with an Application to the Entscheidungsproblem," in which he introduced the concept of a universal computing machine, later known as the Turing Machine. This theoretical model laid the foundation for modern computing and established the fundamental principles of algorithmic computation.

In 1950, Turing published another influential paper titled "Computing Machinery and Intelligence," in which he proposed the now-famous Turing Test as a criterion for determining whether a machine exhibits intelligent behavior. The Turing Test involves a human judge engaging in a natural language conversation with both a human and a machine, without knowing which is which. If the judge cannot reliably distinguish between the human and the machine based on their responses, the machine is said to have passed the Turing Test and demonstrated intelligence (Diego & John, 2021). The Turing Test sparked considerable debate within the field of AI and continues to serve as a benchmark for evaluating the progress of AI research. While some critics argue that the Turing Test is an inadequate measure of intelligence, citing its reliance on linguistic proficiency

and deceptive tactics, others view it as a pragmatic approach to assessing machine intelligence in a manner that is accessible and intuitive to humans. Turing's vision of artificial intelligence extended beyond the confines of symbolic logic and computation. He speculated about the possibility of machines capable of learning from experience, a concept that foreshadowed the emergence of machine learning as a core subfield of AI. Turing's exploration of neural networks and adaptive systems laid the groundwork for modern approaches to artificial intelligence that emphasize learning and adaptation (Diego & John, 2021). Turing's conceptual framework for artificial intelligence, grounded in the principles of computation and machine learning, continues to shape contemporary AI research and practice. His emphasis on the role of data and experience in shaping intelligent behavior has resonated with researchers in fields ranging from natural language processing and computer vision to robotics and autonomous systems.

John McCarthy, an American computer scientist, left an indelible mark on the world of technology by coining the term "artificial intelligence" in the 1950s. In 1955, while serving as a faculty member at Dartmouth College, McCarthy organized a seminal workshop on "The Dartmouth Summer Research Project on Artificial Intelligence." It was during this workshop that McCarthy, along with fellow researchers Marvin Minsky, Nathaniel Rochester, and Claude Shannon, introduced the term "artificial intelligence" to describe the burgeoning field of study focused on creating machines capable of intelligent behavior. McCarthy's contributions to AI extended far beyond the coining of the term. He pioneered the development of Lisp, one of the earliest programming languages specifically designed for AI research. Lisp's simplicity and flexibility made it well-suited for experimenting with symbolic computation and machine learning algorithms (Ginu, 2019). McCarthy's research also laid the foundation for symbolic AI, which emphasizes the use of logic and symbolic representation to model intelligent behavior. He introduced the concept of the "Logic Theorist," a program capable of proving mathematical theorems using symbolic logic. This groundbreaking work demonstrated the potential of AI systems to perform complex reasoning tasks previously thought to be exclusive to human intelligence.

Herbert Simon and Allen Newell, two towering figures in the realms of cognitive psychology and computer science, made seminal contributions to the field of artificial intelligence (AI) through their pioneering work in problem-solving, decision-making, and human cognition. Herbert Simon was born on June 15, 1916, in Milwaukee, Wisconsin. From an early age, he exhibited a keen interest in both psychology and mathematics. Simon's interest in human decision-making and problem-solving led him to explore the field of cognitive psychology. Alongside collaborators such as Allen Newell, Simon developed influential theories that challenged traditional views of human rationality. His concept of "bounded rationality" posited that human decision-makers are constrained by cognitive limitations, such as information processing constraints and time pressure, which prevent them from achieving perfect rationality in complex decision-making tasks (Ginu, 2019). Simon's theories of human cognition had a profound impact on the emerging field of artificial intelligence. His emphasis on the role of heuristic reasoning and bounded rationality inspired the development of computer programs capable of simulating human problem-solving strategies. Simon's collaboration with Allen Newell resulted in the creation of groundbreaking AI programs, such as the Logic Theorist and the General Problem Solver, which demonstrated the feasibility of mechanizing intelligent behavior.

Allen Newell was born on March 19, 1927, in San Francisco, California. Newell's interest in computer science blossomed during his graduate studies at the RAND Corporation, where he collaborated with Herbert Simon and other researchers on projects related to artificial intelligence and computer simulation. This experience laid the foundation for Newell's interdisciplinary approach to AI research, which integrated insights from psychology, computer science, and mathematics. Newell's contributions to AI research were multifaceted. He played a key role in the development of the Logic Theorist, the first AI program capable of proving mathematical theorems using symbolic logic (Hampel, 2020). Newell also co-authored the General Problem Solver, a pioneering AI program that demonstrated the application of heuristic search algorithms to a wide

range of problem-solving tasks. Later in his career, Newell co-developed Soar, a cognitive architecture that integrated symbolic and connectionist approaches to modeling human cognition.

In the ever-evolving landscape of artificial intelligence (AI), certain individuals stand out as towering figures whose contributions have reshaped the field and propelled it into new realms of possibility. Among these luminaries are Geoffrey Hinton, Yann LeCun, and Yoshua Bengio, whose collective efforts have been instrumental in advancing the frontiers of AI research and catalyzing groundbreaking developments in machine learning, neural networks, and deep learning. Geoffrey Hinton, often referred to as the "Godfather of Deep Learning," is renowned for his pioneering work on artificial neural networks and their application to various AI tasks. Born in the United Kingdom in 1947, one of Hinton's most notable contributions to AI is his development of the backpropagation algorithm, a fundamental technique for training neural networks by adjusting their parameters to minimize prediction errors. This breakthrough paved the way for the widespread adoption of neural networks in various applications, from computer vision and natural language processing to speech recognition and autonomous vehicles (Moneus, 2024). Hinton's relentless pursuit of more efficient training algorithms and innovative network architectures has been instrumental in driving the rapid progress of deep learning and establishing it as a cornerstone of modern AI research.

Yann LeCun, a French computer scientist born in 1960, is another trailblazer whose work has profoundly influenced the trajectory of artificial intelligence. LeCun's contributions to AI extend beyond computer vision, encompassing areas such as handwriting recognition, speech recognition, and robotics. His pioneering research on unsupervised learning and generative adversarial networks (GANs) has opened up new avenues for training AI systems without the need for labeled data and has enabled the creation of realistic synthetic data for various applications (Montenegro & Santiago, 2022). LeCun's relentless pursuit of AI technologies that can learn from raw sensory input and adapt to diverse environments has been instrumental in pushing the boundaries of what is possible in the field of artificial intelligence.

Yoshua Bengio, a Canadian computer scientist born in 1964, rounds out the trio of AI luminaries whose contributions have left an indelible mark on the field. One of Bengio's most significant contributions to AI is his co-invention of the deep learning framework known as "unsupervised pre-training," which involves training deep neural networks layer by layer using unlabeled data to learn hierarchical representations of the underlying data distribution. This approach has proven highly effective in tasks such as image recognition, speech recognition, and natural language processing, laying the foundation for the widespread adoption of deep learning techniques in real-world applications (Montenegro & Santiago, 2022).

Artificial Intelligence (AI) has transcended its initial conceptualization as a futuristic technology to become an integral component of contemporary society. With rapid advancements in machine learning, deep learning, and neural networks, AI systems have demonstrated remarkable capabilities in processing vast amounts of data, recognizing patterns, and making complex decisions. The expansion of artificial intelligence across diverse fields underscores its transformative potential and its place in the modern age. From healthcare and finance to transportation and education, AI technologies are reshaping industries, redefining societal norms, and advancing human civilization. However, realizing the full benefits of AI necessitates addressing ethical considerations, fostering interdisciplinary collaboration, and ensuring inclusive governance frameworks (Alida Maria Silletti, 2022-2023). As we navigate the complexities of an AI-driven world, it is imperative to harness its power responsibly for the betterment of humanity.

3 The Use of Artificial Intelligence in the Field of Translation

The application of Artificial Intelligence (AI) in translation has witnessed significant advancements, revolutionizing language services and cross-cultural communication. Artificial Intelligence (AI) has transformed the field of translation, offering innovative solutions to bridge linguistic barriers and facilitate global communication. Machine Translation (MT) systems powered by AI algorithms have evolved from rule-based approaches to neural network models, enabling more accurate and natural language translation. Artificial Intelligence (AI) has

revolutionized translation, empowering individuals and organizations to communicate across linguistic boundaries with unprecedented ease and efficiency (Balayev & Alizade, 2016). From rule-based systems to neural network models, the evolution of machine translation reflects the relentless pursuit of accuracy, fluency, and cultural sensitivity. However, achieving human-level translation quality remains an ongoing challenge, necessitating continuous innovation, collaboration, and ethical governance. As AI-driven translation continues to shape global communication, it is imperative to prioritize inclusivity, diversity, and linguistic rights to foster a more connected and equitable world.

The journey of AI in translation began modestly in the mid-20th century but has since evolved into a dynamic field integral to global communication. The first notable experiment in machine translation (MT) was the Georgetown-IBM experiment in 1954, where a computer translated 60 Russian sentences into English. This early success sparked optimism about the potential of AI in translation. However, the initial excitement was tempered by the 1966 ALPAC report, which criticized MT for its high costs and low accuracy, leading to reduced funding and interest in the field in the United States. Despite these early setbacks, research and development in machine translation did not halt. The 1970s and 1980s saw the advent of rule-based machine translation (RBMT), which used large bilingual dictionaries and hand-coded rules (Maroc Diplomatique, 2023). This period also marked the beginning of the use of mainframe computers to handle the complex calculations required for translation. By the 1990s, the focus had shifted towards statistical machine translation (SMT), which used bilingual text corpora to learn language patterns. The introduction of SMT represented a significant shift from rule-based to data-driven approaches, setting the stage for the next revolution in MT. The 2010s ushered in the era of neural machine translation (NMT), a breakthrough that drastically improved the quality and fluency of translations. NMT uses deep learning models to capture subtle nuances of language, providing outputs that are not only accurate but also contextually appropriate. The development of sequence-to-sequence (seq2seq) models and attention mechanisms further refined NMT systems, enabling them to handle even the most complex linguistic structures (Alowedi & Hassan Al-Ahdal, 2023). Today, AI-driven translation tools like Google Translate and Microsoft Translator leverage these advanced technologies to offer real-time, accurate translations across numerous languages, significantly enhancing global connectivity and communication.

4 Using Artificial Intelligence in Arabic Translation

Multilingual translation poses numerous challenges, including linguistic diversity, cultural specificity, and domain-specific terminology. Each language exhibits unique grammatical structures, idiomatic expressions, and cultural connotations, making it challenging for AI systems to generate accurate translations. Moreover, languages with complex morphology, such as agglutinative languages like Turkish and Finnish, present additional hurdles for automated translation. Additionally, translating languages with different writing systems, such as Chinese and Arabic, requires specialized algorithms to handle character encoding and script variations (Alowedi & Hassan Al-Ahdal, 2023). Neural Machine Translation (NMT) represents a significant leap in translation technology, closely mirroring the complex functionalities of human neural networks. This form of AI analyzes and learns from vast amounts of data, establishing connections between words and phrases across languages. It builds a sort of 'memory' which allows it to improve over time, leading to translations that are not only more accurate but also contextually nuanced. This technology is pivotal in handling languages like Arabic, where contextual and cultural nuances play a critical role in accurate communication. The impact of NMT and related AI technologies on the market is profound. The AI software market, inclusive of language translation technologies, is on a trajectory to reach a valuation of approximately $1.3 trillion by 2029. This growth is not just a testament to technological advancements but also highlights expanding career opportunities for human translators. Far from rendering human translators obsolete, AI is creating new niches and specialties within the field, such as post-editing of machine translation outputs and training AI systems to understand the subtleties of different dialects and cultural contexts. As AI

continues to evolve, its integration into the field of translation is becoming increasingly sophisticated (Maroc Diplomatique, 2023). Companies and language service providers are leveraging these advancements to enhance their offerings, improving not just the speed but also the quality of translations. This evolution is crucial for languages characterized by significant dialectical variations, such as Arabic, making AI an indispensable tool in the arsenal of modern translators.

The landscape of AI-driven Arabic translation is rapidly evolving, reflecting significant growth and technological advancements. As of recent data, there are 42 machine translation and 6 quality estimation APIs available specifically for Arabic, indicating a robust framework for supporting AI in the translation processes. This development is part of a broader trend in the translation service market, which is projected to reach USD 47.21 billion by 2030, growing at a compound annual growth rate (CAGR) of 2.60%. Such growth is fueled by the increasing demand for real-time language support and AI-powered chatbots that offer instant assistance and efficiently resolve queries, enhancing user interaction and service delivery in Arabic. Despite the progress in technology, AI-driven translation still faces significant challenges, particularly with the Arabic language (Khalati & Hussein, 2020). Human translators continue to outperform AI in understanding context, cultural nuances, and complex content that often requires a deep cultural and linguistic understanding. Moreover, ethical considerations such as potential biases in AI translations and the fear of job losses in the translation industry pose ongoing concerns. Additionally, the Arabic language, with its rich variety of dialects and idiomatic expressions, presents unique challenges that are not as prevalent in other high-demand languages like English, Spanish, or Chinese (Nazlia & Khalid, 2014). This complexity often slows the advancement of machine translation in Arabic compared to these languages. Nevertheless, the future of AI in Arabic translation holds promise. Innovations like Jais, a bilingual Arabic-English model, are paving the way for more focused research on non-English languages in large language models (LLMs). Moreover, efforts are underway to collect more Arabic data from offline sources to enhance its online presence and improve translation accuracy. These developments are crucial as they not only aid in handling the intricacies of Middle Eastern languages but also support the creation of more personalized and culturally relevant content (Aimee, 2023). As AI technology continues to evolve, it is set to revolutionize the translation industry by improving accuracy, speed, and cost-effectiveness, thereby enabling broader and more effective communication across diverse linguistic landscapes.

AI-powered Arabic translation tools are revolutionizing the way translations are done by integrating advanced technologies such as neural networks and natural language processing (NLP). These tools are designed to enhance efficiency and accuracy in translating Arabic text. For example, they utilize extensive language databases that accumulate knowledge from previous translations, allowing for faster and more precise translations. This capability significantly reduces the duplication of work and accelerates the overall translation process. Furthermore, these AI translation tools are equipped with quality checking features that ensure the reliability of the translations (Khalati & Hussein, 2020). They automatically review and edit the content, which saves valuable time and resources for companies by speeding up project delivery. This is particularly beneficial in professional settings where the accuracy of translations can have substantial implications.The advancement in AI translation technologies has also led to the development of user-friendly online translation services. These services provide free, fast, and reliable translations of up to 10,000 characters at a time, catering especially to the needs of individuals and professionals on the go. They support various file formats like HTML, JSON, XML, and Markdown, ensuring that the structural integrity of documents is maintained during translation (Tawil, 2020). This feature is crucial for maintaining the effectiveness of web content in multiple languages, particularly for SEO purposes where certain attributes should not be altered. These tools not only promise substantial improvements in the speed and quality of translations but also ensure that translations are contextually appropriate and culturally relevant (Hamdan 2023). This is achieved through continuous learning and updates to the AI models, which adapt to new data and evolving

language use. Thus, AI-powered Arabic translation tools are becoming an indispensable asset for bridging communication gaps in the increasingly globalized world.

Artificial intelligence (AI) is revolutionizing the field of translation, particularly for the Arabic language, by equipping translators with powerful tools that enhance their productivity and accuracy. AI-powered chatbots, for instance, are transforming global customer support by offering real-time language assistance. This capability ensures that communication remains consistent and precise across various languages, which is crucial in professional settings where misunderstandings can lead to significant consequences. Furthermore, AI tools like natural language processing are instrumental in analyzing customer feedback and sentiments (Moneus, 2024). This analysis provides businesses with critical insights, allowing them to better understand and respond to their audience's needs effectively. For translators, this means access to tools that can interpret vast amounts of text quickly, highlighting key themes and sentiments that need to be conveyed in another language. Additionally, speech recognition systems automate routine tasks such as transcribing audio into text, saving time and reducing the workload on human translators. The collaboration between human translators and AI is particularly potent. While AI excels at processing and translating large volumes of information rapidly, human translators bring an understanding of cultural nuances and linguistic subtleties that AI currently cannot fully replicate (Traducta Switzerland, 2023). By working together, they ensure that translations are not only accurate but also culturally and contextually appropriate. This synergy is vital when dealing with complex documents or sensitive information where precision is paramount. AI tools support translators by handling the more straightforward parts of the translation process, allowing them to focus on refining and enhancing the text's quality.

The Arabic language, with its rich morphological structure and diverse dialects, presents a unique set of challenges for AI-driven translation systems. One of the primary hurdles is the significant variation across the approximately 30 different Arabic dialects, broadly categorized into Maghrebi, Levantine, and Gulf families. Each dialect differs not only in pronunciation but also in grammar and vocabulary, complicating the task for AI technologies that strive for accurate automated translation across these dialects. AI translation tools like Google Translate and Microsoft Translator have made considerable progress, yet they struggle with the nuances of these dialects (Calenda online journal, 2024). The complexity increases as these tools often fail to grasp the contextual meanings and subtle linguistic nuances inherent in local dialects. For instance, a word or phrase in Gulf Arabic might carry a completely different connotation in Maghrebi Arabic, leading to potential misinterpretations by AI systems. This issue is exacerbated by the fact that most AI models are trained predominantly on Modern Standard Arabic, which does not adequately represent the colloquial variations. Moreover, the Arabic language's right-to-left writing style, complex sentence structures, and words with multiple meanings add layers of difficulty to the translation process. AI systems require vast amounts of high-quality, dialect-specific data to train effectively, which is currently limited. Collaborative efforts between linguists, AI developers, and regional experts are essential to enrich AI training datasets and refine algorithms, ensuring translations are not only linguistically accurate but also culturally and contextually appropriate (Tawil, 2020). This human-AI collaboration is crucial as it combines the technological strengths of AI with the irreplaceable insights of human expertise, aiming for a future where AI-powered tools seamlessly support the nuances of Arabic translation.

The Arabic language, spoken by over 420 million people worldwide, is renowned for its complexity and rich linguistic structure. Moreover, the inherent structure of Arabic adds another layer of complexity to AI translation. Arabic is known for its rich morphology and the use of root patterns to convey different meanings, which can be ambiguous without proper contextual understanding. This ambiguity poses a significant hurdle for AI systems, which often rely on clear, unambiguous data to learn and make predictions (Moneus, 2024). The right-to-left script and the inclusion of diacritical marks to denote vowels also pose additional challenges for algorithmic parsing and translation. To address these complexities, significant research and development efforts are necessary to enhance AI's capabilities in handling Arabic translation. Current AI

translation tools, while capable of processing large datasets, require human intervention to achieve high-quality results, particularly when dealing with texts that involve nuanced cultural expressions or idiomatic language (Crystal-Translation & Content Creation 2023). This ongoing collaboration between human expertise and machine learning is crucial for advancing the quality of Arabic translation services, ensuring they are not only accurate but also culturally and contextually appropriate.

The integration of artificial intelligence (AI) with Computer-Aided Translation (CAT) tools has significantly enhanced the capabilities of translation software, particularly in handling the complexities of the Arabic language. These advanced tools now offer automated terminology suggestions and context-aware translation recommendations, crucial for maintaining consistency and accuracy in translations. For instance, the use of glossary terms in Arabic translation ensures that specific industry or domain-related words are translated correctly every time, minimizing errors and inconsistencies (Tawil, 2020). AI-driven localization strategies are transforming how businesses approach global markets, especially in Arabic-speaking regions. By leveraging AI for customized localization, companies can tailor their content more effectively to meet the cultural and linguistic nuances of different Arabic audiences. This personalization not only improves user engagement but also drives higher conversion rates, as content resonates more deeply with its intended audience. Furthermore, AI-powered chatbots provide real-time language support, enabling instantaneous communication with customers and significantly enhancing the customer service experience. The future of Arabic translation through AI looks promising with the development of more sophisticated neural machine translation (NMT) algorithms (Khalati & Hussein, 2020). These algorithms are designed to better understand and interpret the nuances of the Arabic language, leading to more accurate and contextually appropriate translations. Additionally, the ongoing collaboration between AI developers and linguists is crucial for further refining these technologies. For example, Zelite Solutions has developed an AI translation model specifically trained on the intricacies of both English and Arabic, ensuring translations are not only linguistically accurate but also culturally sensitive. This collaboration has already shown success, as seen in a project with a UAE government ministry, resulting in enhanced translation accuracy, speed, and cost-effectiveness.

In recent years, notable successes have been achieved in the realm of AI-powered Arabic translation, demonstrating the potent capabilities of artificial intelligence in overcoming linguistic barriers. One such achievement was the development of an AI-powered translation system for the United Nations, which achieved an impressive 98% accuracy in translating Arabic documents (Calenda online journal, 2024). This system not only enhanced accuracy but also reduced translation time by 50%, showcasing significant improvements in operational efficiency.

Another exemplary case involved the implementation of an AI-powered Arabic translation platform that improved communication efficiency between government departments and the public by 85%. This platform also achieved a 40% reduction in translation costs, illustrating the economic benefits of integrating AI technologies in public administration. Additionally, the platform addressed the complex nuances of the Arabic language, ensuring that communications were both accurate and culturally appropriate. Further advancements were seen in the financial sector, where an AI-powered Arabic translation system was tailored for financial documents. This system achieved a 95% accuracy rate and a 35% reduction in translation time, proving crucial for timely and reliable financial reporting and analysis (Nazlia & Khalid, 2014). Such innovations underscore the transformative impact of AI on Arabic translation, providing solutions that are not only technologically advanced but also highly effective in addressing the unique challenges posed by the Arabic language.

The trajectory of AI in Arabic translation is poised for impressive growth, driven by advancements in Neural Machine Translation (NMT) and increasing demands from emerging markets. By 2024, NMT is expected to further enhance language services, making translations faster and more accurate. This is crucial for languages like Arabic, where dialectal variations and cultural nuances play a significant role in accurate communication. The machine translation market itself,

buoyed by these technological advances, is projected to grow at a CAGR of 15.19% from 2022 to 2027. In the Middle East, the NLP market, inclusive of Arabic, is currently valued at $378.10 million and is anticipated to reach approximately $1,013 million by 2030. This growth is largely fueled by the development of sophisticated AI models like Jais, which are specifically designed to address the unique challenges of the Arabic language. These models are not only improving the speed and quality of translations but are also crucial for real-time translation services that are becoming increasingly common in international business and communication. Furthermore, the integration of 5G and cloud computing is set to revolutionize Arabic translation services (Aimee, 2023). 5G technology will enable new mobile capabilities for Arabic users, enhancing experiences with augmented and virtual reality content that require real-time translation. Cloud computing, on the other hand, offers scalable solutions for managing and automating localization processes, making it easier for businesses to adapt their services for Arabic-speaking markets. These technological advancements are transforming how Arabic content is localized, ensuring it is not only linguistically accurate but also culturally and contextually appropriate.

The translation service industry is on an impressive trajectory, projected to reach a market value of USD 47.21 billion by 2030, with a steady growth rate of 2.60%. This growth is indicative of the increasing reliance on technological advancements in the field, particularly in the realm of machine translation (MT) and other language technologies. These tools are not just enhancing the efficiency of translation processes but are also significantly reducing operational costs (Moneus, 2024). As these technologies become more integrated into daily translation practices, they promise to reshape the landscape of the industry by making high-quality translation services more accessible and cost-effective. In parallel, the broader translation industry is also witnessing substantial expansion, expected to achieve a market size of USD 53.5 billion by 2032, growing at a compound annual growth rate of 2.7% from 2022 to 2032. This growth is fueled by the continuous improvements in machine translation technologies, which are becoming increasingly sophisticated. The evolution of these technologies is crucial for addressing the unique challenges of translating complex languages such as Arabic, known for its rich morphological structure and diverse dialects (Aimee, 2023). The advancements in AI and machine learning are pivotal in enhancing the accuracy and speed of translations, making it possible to handle the nuances of such languages more effectively.

5 Conclusıon

As mentioned, recent advances in Neural Machine Translation (NMT) have led to significant improvements in the accuracy and fluency of Arabic translations, with models incorporating more complex architectures and training methods. The emergence of domain-specific translation models adapted to the Arabic language, using specialized datasets and fine-tuning techniques to produce more accurate translations in fields such as medicine, law, and technology, will be highly significant for our time. Multimodal translation systems that can process not only text but also images and audio can enhance the contextual understanding and accuracy of Arabic translations, especially in promptly interpreting visual or auditory cues, resulting in more flexible use of AI for translators. Arabic translators can also make progress in addressing the challenges of low-resource Arabic dialects by using innovative approaches such as transfer learning and unsupervised learning. Developing new evaluation metrics and benchmarks specific to Arabic translation can provide researchers with more nuanced insights into the performance of AI models, facilitating continuous improvement and optimization efforts. Ethical considerations related to AI translation, including bias and the potential impact on human translators, are also critical in developing strategies to mitigate these concerns, such as data diversification and transparency measures. User-centered design principles can greatly influence the development of AI translation tools for Arabic by focusing on features that meet the preferences and needs of Arabic-speaking users, including support for regional dialects and customizable translation results. As the industry progresses, the integration of AI in translation tools is set to become more profound, with AI becoming a fundamental component of translation services.

This integration is expected to drive further innovations in the field, particularly through the development of more advanced neural machine translation (NMT) systems. These systems are designed to better understand and interpret the subtleties of languages, thereby improving the contextuality and accuracy of translations. The ongoing collaboration between AI developers and linguistic experts will continue to play a crucial role in refining these technologies, ensuring that the translation services not only meet linguistic accuracy but also cater to the cultural and contextual nuances of the target audience.

References:

Aimee, L. (2023). *Arabic AI could help open doors for other languages.* CNN-EDT. https://edition.cnn.com/2023/10/04/middleeast/jais-arabic-ai-open-doors-spc-intl/index.html

Alida, M. S. (2022-2023). *L'intelligence artificielle et la traduction générée automatiquement.* Lingua e traduzione – lingua francese.

Alowedi, N.A. & Al-Ahdal, H. A.M. (2023). Artificial Intelligence based Arabic-to-English machine versus human translation of poetry: An analytical study of outcomes. *Journal of Namibian Studies*, 3300(2), 1523–1538. https://doi.org/10.59670/jns.v33i.800

Balayev, R.A. & Alizade, M. N. (2016). Intelligent Systems and Technologies. *BAKU*, 256(1), 150-173.

Calenda online journal. (2024). *Traduction et intelligence artificielle: Enjeux de la théorisation et de la pratique*. https://calenda.org/1155232

Crystal- Translation & Content Creation. (2023). *Arabic Language challenges Machine Learning in 2020 (Updated 2023)*. Linkedin. https://www.linkedin.com/pulse/arabic-language-challenges-machine-learning

Diego, F. & John, F. (2021). *Movilidad y aprendizaje: utilización de la inteligencia artificial para la traducción de textos en LSC*. Revista Espacios.

Ginu, D. (2019). *Training Neural Machine Translation To Apply Terminology Constraints*. Retrieved. 164(9). 47-61.

Hamdan, D. (2023). *ChatGPT and the limits of Arabic-language AI*. Newarab-narrated. https://www.newarab.com/opinion/chatgpt-and-limits-arabic-language-ai

Hampel, B. (2020). *Vom Ohrenspiel Abdallahs und den Grenzen künstlicher Intelligenz - Beiträge zur interkulturellen Kompetenz beim Übersetzen und Dolmetschen*. BDÜ-Fachverlag.

Khalati, M.M. & Hussein, T.A. (2020). Artificial Intelligence Development and Challenges (Arabic Language as a Model). *International Journal of Innovation, Creativity and Change*, (5), 12-23.

Maroc Diplomatique. (2023). *Appel à explorer les potentialités de l'IA dans la traduction depuis et vers l'arabe*. ICESCO. https://maroc-diplomatique.net/icesco-appel-a-explorer-les-potentialites-de-lia-dans-la-traduction-depuis-et-vers-larabe/

Moneus, A.M. (2024). *Artificial intelligence and human translation: A contrastive study based on legal texts*. Research article, Heliyon. 514. https://doi.org/10.2139/ssrn.4441379

Montenegro, L.E. & Santiago, B.C. (2022). *La Inteligencia Artificial y el mundo de la traducción: caso de estudio de las percepciones*. Ciencias Sociales, Universidad Ean. 5-12.

Omar, N. & Shaker, K. (2014). Arabic machine translation: a survey. *Artificial Intelligence Review*. 1429(42), 549–572. https://link.springer.com/article/10.1007/s10462-012-9351-1

Oztemel, E. (2020). *Artificial Intelligence and the Future of Humanity, Information Technologies and Communication: Individual and Social Security*. *Marmara u. TUBA.*, 12-18.

Tawil, K. (2020). *Arabic Language challenges Machine Learning in 2020*. Linkedin. https://www.linkedin.com/pulse/arabic-language-challenges-machine-learning-2020-krystel-tawil/

Traducta Switzerland. (2023). *Die Auswirkungen der künstlichen Intelligenz auf die Zukunft der Übersetzung*. https://www.traducta.ch/aktuelles/auswirkungen-zukunft-ki-uebersetzung